وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج – البويرة –
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم: التاريخ

مذكرة موسومة بـ:

العلاقات الجزائرية التونسية من خلال كتاب ابن أبي الضياف (1705-1835م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث

إعداد الطالبتين:
بوطغان هاجر
سكيمي سعيدة

إشراف الاستاذة:
حفيظة بوتوقوماس

السنة الجامعية: 2021/2020م

الإهداء

اهدي هذا العمل ، إلى أسرتي التي شقت لي في كبد الصخر طريقا سهلا لأنهل قطوف العلم، والى صديقاتي اللواتي حفزنني على مواصلة هذا الطريق المفروش بالآمال و إلى مشرفتي التي أنارت لي الكثير من الزوايا المظلمة لأطل من خلالها على أنوار المعرفة و العلم

الشكر و العرفان :

أتقدم بآيات التقدير و العرفان إلى كل من ساهم في تكويني

و اخص به كلا من معلمي المرحلة الابتدائية الذين سطروا لي أبجديات

الحرف الأول و معلمي التعليم المتوسط و الثانوي و دون أن انسى

أساتذة التعليم و التأطير الجامعي رافعة لهم آيات الاحترام

و العرفان اخص منهم مشرفتي الدكتورة بوتوقوماس حفيظة

التي ساهمت في تكويني علميا الى غاية بلوغ هذه المرحلة

فشكرا جزيلا

مقدمة

مقدمة.

توسطت الجزائر دول شمال إفريقيا، المطلة على البحر الأبيض المتوسط تحدها تونس من الجهة الشرقية وهذا التقارب الجغرافي أدى بالضرورة لوجود علاقات متباينة على مر الأزمنة ,خاصة في الفترة الممتدة من 1705م-1835م، التي شهدت تقلبات في هذه العلاقات على جميع الأصعدة سواء اجتماعية، ثقافية، اقتصادية، سياسية، ، ولا يمكن ذكر كل هذا دون الإشارة إلى انفصال الجزائر الذاتي عن الدولة العثمانية، التي بات ما يربطهما فقط الولاء للخلافة الإسلامية، وعرفت هده المرحلة بمرحلة الدايات في الجزائر والتي كان يقابلها قيام الأسرة الحسينية في تونس, أصبحت الجزائر آنذاك تسير وفق منظورها الشخصي في علاقاتها الداخلية و الخارجية وللوقوف على واقع هذه العلاقات بين الايالتين تمثل موضوع مذكرتنا الموسوم بـ "العلاقات الجزائرية-التونسية من خلال كتاب ابن أبي الضياف 1705م-1835م"، وما دفعنا لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب نذكر منها ما يلي:

- اهتمامنا الكبير بدراسة التاريخ العثماني خاصة في منطقة شمال إفريقيا.
- رغبتنا في البحث في تاريخ العلاقات الجزائرية خاصة الخارجية.
- كشف تأثير هذه العلاقات على الأوضاع الداخلية للجزائر.
- تحديد الأسباب والعوامل التي كانت وراء قيام العلاقات التونسية-الجزائرية.

ويكمن الهدف من هذا البحث في:

- تأثير مسألة الحدود على العلاقات بين الايالتين.
- تأثير التفاعلات الدولية والإقليمية في تباين العلاقات بين الدولتين.
- إعطاء ولو جزء بسيط عن العلاقات الجزائرية التونسية بمختلف ميادينها، السياسية اقتصادية، ثقافية، اجتماعية، في الفترة الممتدة من 1705م-1835م.

هذا وقد عالجنا موضوعنا انطلاقا من الإشكالية الرئيسية التالية: **فيما تمثلت طبيعة العلاقات الجزائرية التونسية في الفترة 1705م-1835م؟** والوقوف على أهم نتائجها وأسبابها.

واستنادا على هذه الإشكالية اندرجت تحتها عدة تساؤلات وهي:

- ماهي أهم المجالات التي برزت فيها هذه العلاقات؟
- بما تميزت هذه العلاقات بين الايالتين؟ وما هي أهم أسس قيامهما؟
- ما مدى مساهمة القرب الجغرافي في تأطير هذه العلاقات؟

اعتمدنا على المنهج التاريخي التحليلي الوصفي الذي ساعدنا في تحليل الاحداث و تفسيرها و وصف كل المراحل التي مرت بها الفترة المدروسة،و لإكمال هذا البحث قمنا بجمع المادة العلمية اللازمة فاعتمدنا على عدة مصادر ومراجع لمعالجة الإشكالية وتحليل جزئياتها، ومن أهم المصادر نذكر كتاب:

- إبن أبي الضياف إتحاف أهل الزمان في أخبار تونس وعهد الأمان، قد كان ابن أبي الضياف كاتبا ومستشار البايات الحسينيين ابتداءا من 1727م-1835م ويعتبر كمصدر أساسي في بحثنا وأهم قاعدة ارتكزنا عليها،

-فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسن طينة واستيلائهم على أوطانها أو كما يسمى بتاريخ قسن طينة لمحمد صالح العنتري الذي ألفه بطلب من الضابط " بواساني" رئيس المكتب العربي ب قسنطينة 1843م

-المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس لابن الدينار وغيرهم من المصادر، ومن المراجع نذكر أهمها أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، الإمام رشاد، سياسة حمودة باشا في تونس 1782م-1814م وغيرهم، وبعد عملية جمع المادة العلمية بلورنا مذكرتنا في مقدمة وثلاث فصول وخاتمة وملاحق.

الفصل الأول: جاء بعنوان الأوضاع العامة في الجزائر وتونس، ووقفنا على أهم الأوضاع الداخلية السياسية الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، في كل من الايالتين ذلك قصد معرفة الوضع العام الذي تحددت فيه العلاقات.

الفصل الثاني: جاء بعنوان العلاقات السياسية الاقتصادية بين الايالتين حيث وقفنا فيه على أهم الأحداث السياسية التي جمعتهم والتي بالمقابل كانت تحدد طبيعة العلاقات بينهم، وكذا الوقائع الاقتصادية ونماذج التواصل الاقتصادي الحاصل عن طريق المبادلات التجارية بين

الأيالتين، أما الفصل الثالث: فقد كان بعنوان العلاقات الاجتماعية والثقافية بين تونس والجزائر الذي تناول تأثير كبرى القبائل على السلطة ومدى تأثيرها على العلاقات بينهما، أما من الجانب الثقافي فقد تتبعنا أهم المحطات الثقافية العلمية التي جمعت بين الايالتين وساهمت بشكل كبير في تطور هذه العلاقات.

وخاتمة دوّن فيها استنتاجات والخلاصات التي توصلنا إليها من خلال هذه المذكرة وفي الأخير أرفقنا بحثنا ببعض الملاحق.

ومن الصعوبات التي وجهناها في هذا البحث عدة تحديات وعراقيل نذكر منها:

- ضيق الوقت وقلة المصادر.
- تشابه المادة العلمية فيما يخص المصادر التونسية وقلة هذه الأخيرة في الجزائر.

وفي الختام نتقدم بالحمد والشكر لله سبحانه وتعالى على إعانتنا لإنجاز هذه المذكرة ثم بجزيل الشكر للأستاذة المشرفة حفيظة بوتوقوماس التي وافقت على الإشراف على مذكرتنا بكل تواضع ورحابة صدر رغم انشغالها بأعمال الإدارة وفي الأخير إن أصبنا في عملنا فبتوفيق من الله عزّ وجل وإن كان غير ذلك فحسبنا أننا حاولنا دون كلل أو ملل والله ولي التوفيق.

الفصل الأول

الأوضاع العامة في الجزائر وتونس(1705-1835م)

تمثل الأوضاع الداخلية للبلاد أهم عامل مؤثر في مسار علاقاتها بمحيطها سواء كان ذلك على الصعيد الداخلي أو الخارجي، والشأن نفسه ينطبق على علاقات الجزائر بتونس، إذ أن للأوضاع التي مرت بها خلال القرن 17 م تأثر في علاقاتهما، هذا وقد عرفت تونس صراعات كبيرة بين القوات المسيحية والقوات التركية، هذه الأخيرة التي كان لهما الفضل أن استطاعت أن تعيد السلم والأمن إلى البلاد وأن توفر الاستقرار من تنظيمات: الباشوات-الدايات-البايات المراديين الذين توالوا عليها إلى غاية 1702م، نهاية حكمه ذلك جراء الحرب التي كانت بين الجزائر وتونس والتي أدت إلى تدهور الأوضاع وتخوف الأهالي من الهجوم المفاجئ للجزائريين، خاصة وهم بدون حاكم يدافع عنهم، فاتفق أهل الحل والعقد على مبايعة الحسن بن علي 1705م، وهذا ما سنحاول الوقوف عليه في الفصل الأول.

المبحث الأول: الأوضاع العامة في تونس (1705-1835م)

المطلب الأول: الوضع السياسي

عرفت تونس عدة تغيرات في نظام الحكم، إذ شهدت عدة مراحل وعدة أنظمة، بداية من 1574م-1702م، وهي كما يلي: البشاوات-الدايات والبايات المراديين إلى غاية ظهور الأسرة المسيحية.

1- عهد الباشاوات 1574م-1591م

أصبحت تونس[1] بعدما دخلها العثمانيون سنة 1574م إيالة عثمانية تحكمها الباشا، يوليه عليه الخليفة، بعد أن اسند الباب العالي حكم البلاد إلى الباشا الذي يمثل السلطان ويعين لمدة 3 سنوات، مع الاستعانة بضباط الجيش الانكشاري الذين شكلوا مجلس الديوان وهو عبارة عن مجلس يجمع فيه كل المسئولين[2] منها الأغا، قادة الفرق، المترجمان والكاتبان، وهما من ينظر في أمور الدولة ومراقبة قرارات الباشا، وتنظيم الجيش الذي يعقد 4 مرات في الأسبوع، كما انتخب بعض الأعيان التونسيين للحضور فيه[3]، فقد كان الباشاوات في تونس يعين مباشرة من قبل السلطان العثماني فترته لم تدم طويلا من 1574م-1591م.

2-عهد الّديات: 1591-1631م.

عرفت تونس في نهاية القرن 16 وبداية القرن 17م انقلابا عسكريا قام به طائفة الانكشارية على رّياس البحر، أفضى إلى نهاية عهد الباشاوات واستبداله بالدّايات، ذلك

(1) تونس: اسم مدينة تونس في الأول ترنيش ويقال لبحرها رادس، كما سمي مرساها بمرسى رادس، افتتحها النعمان بن عدي بن بكر: أنظر أبو عبد الله البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية المغرب، د ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د س ن، 37.

(2)Toufik bachrouch، formation sociale barbarresque et pouvoir a Tunis au XV Ilesiecle publications de l'université de Tunis، 1977، p54.

(3) محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تعريب محمد الشاوش، محمد عجيبة، دار سراس للنشر، تونس،1980، ص68.

بسبب سلطة الانكشارية ورغبتهم في إيجاد مصادر المال، فأثاروا ثورة عام 1591م، ضد رّياس البحر وهنا يذكر ابن أبي الضّياف: "ولما تمهد الهناء بتونس رجع الوزير سنان باشا وقلع على قبطان باشا إلى الحضرة السلطانة، واستمر هذا الترتيب بتونس على حالتها المطمئنة إلى أن فتك الجند لكبار الديوان وتعرف بواقعه البولكباشية".

"وذلك أن كبار الجند عظم جورهم واستطالت أيديهم على من دونهم من العسكر حتى أن خدمة خيلهم يستطيلون على الجند فأنفوا لذلك ولزمهم أن تآمروا".

ولما انتصر الانكشارية وفرضوا إرادتهم بزحزحة الباشا، وقدوم الداي زادوا من عدد النواب وقضوا على الحكم القديم، استمر حكمهم إلى غاية منتصف القرن 17م، إذ كانوا ضباط أشداء يمارسون الجهاد البحري، أعادوا الأمن والاستقرار للبلاد، كما حرصوا على إقرار نظام المدينة الإسلامية مما زاد سلطان الدايات شرعية، فقد عرفت هذه الفترة تطور كبير إلى أن جاء عهد جديد وهو نظام الدايات المراديين[1] .

3- عهد البايات المراديين

استطاع البايات المراديين من قهر نظام الدايات، وظهور لقب الباي كمرحلة جديدة في حكم الإيالة التونسية، بعد وصول الأسرة المرادية للحكم وولائهم للسلطة العثمانية، جاؤوا بلطة جديدة استمدوها من دعم السكان الأصليين[2] أسسها مراد كوراسو الذي شغل وظيفة الباي وتحت تصرفه القوات العسكرية[3]الذي كان يعمل على استخلاص الضرائب وتوفير حاجيات الدفاع عن البلاد، بعدها قامت الدولة العثمانية سنة 1640م منحه لقب الباشا،

(1) ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، ج2، المكتبة التاريخية، تونس، 1963، ص27.

(2) عبد الرحمان تشابجي، المسألة التونسية السياسية العثمانية 1881-1913م، ط1، علق عليه عبد الجليل التميمي، دار الكتاب الشرقية، تونس، ص33.

(3) خفيضة بوتوقوماس، الحياة الاجتماعية في تونس خلال العهد العثماني 1117هـ/1705-1251/1835م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، 2010-2011، ص22.

ولكنه تنازل عنه لأبنه حمودة باشا[1] الذي تولى الحكم وقضى على القبائل الثائرة ضد الحكم التونسيين مثل قبائل أولاد شنوف وأولاد السعيد، تولى الحكم ابنه مراد الذي توفي 1675[2]، وبعد مناوشات أهلية قامت في الأسرة المرادية بين محمد باي ابن حمودة باشا المرادي وعمه محمد الحفصي وأخيه علي باي، انتهى حكم الباشوية لعمه، أما علي باي تولى مدينة تونس ومحمد باي تولى القيروان، ليتم بعدها نفي محمد الحفصي إلى استانبول ويموت فيها[3]، آلت أمور البلاد بعدها إلى مراد باي[4] المعروف بظلمه وبطشه بوفاته جاء الداي محمد طاباق الذي جرده من كل السلطة، لكن بعدها قام علي باي بقتله بعد أن أحاط نفسه بفرقة من الحرس، هذا العمل أثار شكوك علي باي فقتله، وتم وضع بدله أحمد الشبلي الذي غدر به، واستدعى محمد باي من القيروان، وأخذ منه البيعة، فالتقى الطرفان في معركة انهزم فيها علي باي وهرب إلى صفاقس ثم سوسة، وعندما أراد محمد باي البحث عن أخيه رفض الداي ذلك، فاتحد الإخوة ودخلا في حرب مع الداي الذي عينه أحمد الشبلي، انتصر الإخوة بعد استعانتهم بوالي الجزائر الذي ساعدهم في الاستيلاء على تونس 1655م وقتل أحمد الشبلي وعلي باي وعاد الحق لمحمد باي[5].

بعد الانتصار توجه محمد باي إلى تأمين أمور البلاد، ولكن لم يلبث طويلا حتى تعرض لثورة من طرف صهره محمد بن شكر الذي عمل كطاغية في إدارة المراديين، كان نائب محمد الباي المرادي والذي تظاهر بالصلح وطلب من سيده الإذن ليؤدي فريضة الحج،

---

(1)عبد الوهاب حسني، خلاصة تاريخ تونس، ط3، دار الكتب الشرقية، تونس، محرم، 1983م، ص160-161.

- ملحق رقم 1 : صورة حمودة باشا، ص92.

(2) حفيظة بوتوقوماس، المرجع السابق، ص160-161.

(3) حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص140.

(4) مراد باي: بويع للحكم يوم الاثنين 16 مارس 1699م وعمره 18 سنة، عرف بطيشه وهتكه للحرمات وشدة قتله، انظر محمد الأندلسي، الوزير السراج الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تق، تح/ محمد الحبيب الهيلة، د، ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، مج 2، 1985، ص654.

(5) محمد الهادي العامري، تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذبول، الشركة التونسية للتوزيع ، القصبة، تونس 1974، ص271.

فوافق على ذلك لكن في حقيقة الامر توجه للجزائر لطلب المساعدة وجاء بجيش كبير بقيادة شعبان باشا الذي طلب المساعدة من والي طرابلس، لتصل بعدها جيوش من الكاف، دارت معركة بينهم وانتهت بهزيمة محمد الباي، هنا تم التغلب على المراديين[1] وواصل ابن شكر سياسته القائمة على النهب والسلب حتى وصل القصبة وحاصرها وذبح كل جنود محمد الباي، لكن بعدها تم القضاء عليه وعاد محمد الباي وأصلح الأحوال إلى أن توفي[2]، كما عرفت حرب داخلية في عهد رمضان باي المرادي الذي أهمل أمور البلاد، وتمكن من ابعاد العلاقة بين رمضان وابن أخيه مراد باي، ودخلا في ثورة وقتل عمه، هنا آلت الأمور إلى مراد بوبالة الذي قطع رأس عمه في 1700م، ووجه هدية لحاكم الجزائر من أجل توطيد العلاقة، لكن حاكم الجزائر ردها إليه، هنا عزم على الحرب ضد الجزائر وجمع جيشه وسار نحو قسن طينة لكنه فشل في الحرب وفر هاربا للقيروان التي خرب معالمها حتى قتله إبراهيم الشريف، بذلك انتهى العهد ألمرادي بوفاة مراد بوبالة[3] ويأتي بعده إبراهيم الشريف.

1-2 إبراهيم الشريف 1702-1705م

بعد مقتل مراد بأي جاء بعده، إبراهيم الشريف[4] وهو بأي تونسي بين عام 1702-1705م وهي الفترة المتأزمة التي تلت نهاية حكم المُراديين وبّداية حكم الحسينيين، كان أمير الجند الّبايات المُراديين بتونس وإنما أقام بقتل مراد باي 1675 م وقضى على أحفاد حمودة باشا، ونصبه نفسه بَايا من دون أن يمنح في المقابل السلم والهدوء اللذان طمحا إليها الشعب، وقد عرفت فترة حكمه سلسلة من الحروب والمصادرة والتقتيل وكان همه الوحيد تجميع السلطات بين يديه[5]، شن حرب ضد طرابلس 1704م وانتصر فيها في ديسمبر

(1) محمد الهادي العامري، المرجع السابق، ص271.

(2) حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص144.

(3) محمد الهادي العامري، المرجع السابق، ص249.

(4) ابن أبي الضياف، مصدر سابق، ص94.

(5) المختار باي حسن بن علي، في الدولة الحسينية، تر: البشير بن سلامة، ط1، الأصلية للنشر ، تونس، 2009م، ص248.

1705م، إلا أن وباء الطاعون جعله يفر بجلده هو وبعض من جنده، أما البقية قد تركهم لقمة سائغة للوباء، هذا ولم يمنعه من شن حرب أخرى ضد الجزائر بالرغم من تخلي كاهيته وبعض من جنوده رفض الاستسلام والصلح ,خاصة بعد انضمام أولاد السعيد إليه، لكن في الأخير لقي حتفه 1705م بعد أن انهزم من طرف الجزائريين، فقد تولى الحكم في تونس كل من الأسرتين الأولى الأسرة ألمرادية 1702 م ثم بعد فترة وجيزة انتقل الحكم للأسرة الحسينية 1702-1705م التي دامت في الحكم 3 سنوات[1] وهنا سنتعرض إلى قيام الأسرة الحسينية.

1-3- قيام الأسرة الحسينية 1705م

بعد أن قتل إبراهيم الشريف أعلن أغا الصباحية حسن بن علي بن تركي الملقب ب أبو عبد الله وحسن بن علي بن تركي أول مؤسس للبيت الحسني[2]، أصل والده علي تركي من جزيرة كندية، جاء إلى تونس في بداية العصر ألمرادي وانخرط في الجيش، وتولى عدة مناصب منها خزندار، أغا الصباحية[3]، ونصب نفسه بايا عام 12/7/1705[4] وفي هذا الصدد يذكر ابن أبي الضّياف في كتابه الإتحاف قائلا: ....وانقرضت دولة إبراهيم الشريف... ولما بلغت المنهزمة إلى الحاضرة (مدينة تونس، جزع أهلها، وخافوا هجوم العدو الجزائريين) عليهم وهم في فوضى بلا أمير يجمع غايتهم ويدافع بهم عنهم، فتفاوضوا على الأمر الواجب شرعا وعقلا، وهو البيعة لإمام واتفق أهل الحل والعقد من العلماء، وأكابر الجند واعيان الحاضرة على المبايعة لحسن بن علي بما يعلمون من حميد خصاله وعزمه، فخرج إليه أهل الحل والعقد وكثير من أهل الحاضرة وطلبوا منه قبول بيعتهم وجمع كلمتهم

(1) المختار باي ,المرجع السابق ,ص248

(2) الملحق رقم 2 : صورة لحسن بن علي تركي ، ص93.

(3) أغا الصباحية: هم الخيالة والفرسان في الجيش العثماني، انظر سهيل صبان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية, مراجعة عبد الرزاق ومحمد حسن بركات , مكتبة الملك فهد,الرياض ,السعودية ,د ط, ص132.

(4) محمد حسن العيدروس، تاريخ العرب الحديث، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، د ط، 2001، ص182.

فامتنع مصرا على عدم القبول، فقال له العلماء يجب عليك القبول، لاسيما والحالة هذه فأجاب دعوتهم ودخل معهم الحاضرة لقبول البيعة... [1].

بموافقة الأهالي والأعيان[2] كما نوه الشيخ الفاضل أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله ألجمني الذي بشر السيد حسين بن علي تركي بالتولية، وأوصاه الرفق بالرعية ودعا له بالبركة، فطلب منه الستر فقال: «لا عليك من بأس فإن الله والملائكة، واستخلفك في أرضه على عباده»[3]، قام ببسط نفوذه على البلاد وعمل على تأسيس أسرة حاكمة وراثية الحكم في تونس[4] والتي عرفت بالحسينية[5]، فقد عرف هذا الأخير بحزمه وحسن سلوكه، فقد تمكن من إبعاد الجزائريين من مدينة تونس، وقام بإقرار الأمن، ومما زاد في سلطته حصوله على فرمان التولية من السلطان العثماني وتثبيته في منصب بأي، ومن هنا أصبحت تونس تخضع لحكم الأسرة الحسينية، التي تداول على حكمها 19 بايا نذكرهم في الجدول الموالي ومن هنا أصبحت تونس تخضع لحكم الأسرة الحسينية، هذا الإقليم يمثل ولاية عثمانية تمكن خلالها، حكامها العسكريين من الاستقلال الداخلي وإنشاء سلطة مستقلة مع الاحتفاظ بروابط ضعيفة مع الدولة العثمانية[6].

(1) ابن أبي الضياف، مصدر سابق، ص84.

(2) محمود علي عامر، تاريخ المغرب العربي الحديث، الجزائر وتونس، منشورات جامعة دمشق، سوريا، د ط، 1994، ص181.

(3) محمود مقديش، نزهة الانضار في عجائب التواريخ والأخبار، ط1، ت ح: علي الرزاري- محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان، 1988، مج 02، ص156.

(4) محمد عبد الله عود إبراهيم خطيب، تاريخ العرب الحديث، دار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د ط، 1989، ص131.

(5) مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ العربي المعاصر والحديث، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط،2004، 1م، ص227.

(6) محمد العيدروس، مرجع سابق، ص182.

1-4- النزاع بين حسن علي تركي وعلي باشا:

بدأ النزاع بين الباي حسين بن علي بن تركي وابن أخيه علي باشا[1] عندما نقض الباي عهده الذي قطعه على ابن أخيه لجعله واليا للعهد بعد أن رق بوالديه محمد وعلي فخلع علي باشا من ولاية العهد[2]، وبذلك عرفت البلاد اضطرابات داخلية[3] وحروب أهلية، لم يرضى علي بمنصب الباشا الذي منحه له عمه من السلطان العثماني، ونتيجة لذلك تمرد عليه، وفي هذا الصدد يذكر ابن أبي الصياف في كتابه الإتحاف قائلا:... وأظلم الجو بينه وبين عمه روديت بينهما عقارب الساعيات وعلم عمه ضيق نفسه وسوء ظنونه فحذره نصحائه من إضاعة الحزم فرعى ذمة الرحم وحق التبني ومن المقدور[4]»، يعني الحذر الذي كان مدعوما من قبل الجزائريين حين دخل تونس في شهر 1735/ سبتمبر وأعلن نفسه بايا بدلا من عمه الذي فر إلى القيروان، وبعد 5 سنوات من الحرب بينهما انتهت بتفوق على باشا 1740م وقتله عمه، وقطع رأسه، أما أولاده فقد لجئوا إلى الجزائر[5]، الخارجية 1735-1776 م ,بعدها تمكن محمد بأي وعلي باي من دخول مدينة تونس 30 سبتمبر 1756م مع جند ايالة الجزائر، وقد شهدت سلسلة من أعمال السلب والنهب، وانتهت الحرب بقطع رأس علي باشا. ودفع ضريبة سنوية للجزائر ليعود بعدها الحكم لأبناء حسن بن علي بن تركي[6].

(1)الملحق رقم 3 : صورة لعلي باشا ، ص94.

(2) محمد السيد، تاريخ إفريقيا القديم والحديث، مؤسسه شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، د ط، 2006، ص238.

(3) زاهية قدوره، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، ولبنان، د ط، د ت، ص455.

(4) احمد بن أبي الضّياف، المصدر السابق، ص106.

(5) زاهية قدوره، المرجع السابق، ص455.

(6) مليكه الشيخ، العلاقة السياسية الاقتصادية بين تونس وفرنسا خلال القرن 18، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ الحديث والمعاصر , إشراف عمار بن خروف , معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية ,المركز الجامعي ب غرداية ,الجزائر,ص22.

المطلب الثاني:الوضع الاقتصادي:

شهدت تونس في القرن 17م نهضة اقتصادية نظرا لتضافر الجهود من العوامل التي ساهمت في نجاح هذا الوضع الاقتصادي منها ما يلي:

- الوفود الأندلسية التي قدمت إلى تونس بشكل كبير بالنظر للدور الذي لعبه عثمان داي في تحسين شؤونهم[1]، فأخذ هؤلاء المهاجرون ينشئون المزارع السياسية، وأدخلوا زراعة المحاصيل من اسبانيا كالطماطم و البطاطا وكذا خبرتهم في هذا الجمال تجلت في تلك التقنيات التي ادخلوها في مجال السقي وحسن استغلال المياه وعن طريق إنشاء السدود، وفضلا عن اهتمامهم بالزراعة الأشجار وتربية المواشي[2].
- تخطي تونس لمرحلة الاضطرابات التي كانت في القرن 17 في المرحلة الأخيرة من الحكم الحفصى، إذ عاشت خلالها البلاد فوضى التي انتهت بعدما دخلوا ضمن سياق الدولة العثمانية أين عرفت استقرار سياسي.
- نشاط البحرية: عرفت تطور إذ نشطت حركة الرياس، وبلغ بتونس إلى تعيين قناصل لها من تونس فقد شهدت تونس نفس الكوارث الطبيعية التي مرت بها الجزائر إذ تأثر بذلك الوضع الاقتصادي والاجتماعي، خاصة بعد تحول الفلاحين من النشاط الزراعي إلى الرعوي والهجرة من مكان لأخر هذا دون أن ننسى أنهم برعوا في الجانب الصناعي إذ كانت لهم أسواق تعرف بسوق المواشي وأصبحت تعرف منذ ذلك الحين من أهم

(1) أبو عبد الله القيرواني، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1982، ص193.

(2)عبد الجليل التميمي: تأثيرات الموريسليس على المجتمعات المغاربية، العصر الحديث، المجلة التاريخية المغاربية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، العدد 120، تونس، جوان، 2005، ص328.

مصدري الطربوش في الدولة العثمانية[1]. فقد أشار ابن أبي الضياف إلى أن تونس ثروتها كانت كلها من تونس من الصناعة[2].

المطلب الثالث: الوضع الاجتماعي الثقافي:

1-الوضع الاجتماعي:

عرف الوضع الاجتماعي انتعاشه من خلال القرن 17م، إذ توفرت تونس على فسيفساء اجتماعية لضمها العديد من العرقيات التي تفاعلت فيما بينها، فقد وجد بتونس نفس الفئات التي كانت بالجزائر من أتراك- الأندلس- اليهود[3] وبذلك تشابهوا معها من حيث التصنيف الاجتماعي وهي على ما يلي:

- الأتراك: وجدوا كحكام وجنود انكشاريين يتمتعون بكافة الامتيازات.
- الكراغلة: وهم نتاج تزاوج الرجال الأتراك والنساء التونسيات.
- الاعلاج المماليك: شغلوا مناصب عالية في الدولة سواء في الجيش البحرية، أو الديوان.
- الأندلسيون: توافدوا بكثرة خلال القرن 17م.
- الأشراف: وهم الذين ثبت انتسابهم لآل البيت يحضون بامتيازات رفيعة.
- الحضر : وهم سكان المدن.
- العبيد: وهم السود القادمين من القارة الإفريقية عن طريق التجار منهم العبيد البيض وهم الأعاجم إضافة إلى اليهود[4].

(1) عادل سعيد البشتاوي: الأمة الأندلسية الشهيدة، تاريخ مئة عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة، د ط، د م ن، د س ن، ص377.

(2) ابن أبي الضّياف، المصدر السابق، ص35.

(3) شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: محمد الملالي والبشير بن سلامة، مؤسسة توالت الثقافية، ج2، 2011، ص356.

(4) أحمد قاسم ،ايالة تونس العثمانية على ضوء فتاوى ابن عظُوم، 1574-1600م، د ط، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس ، د س ن، ص191-194.

2- الوضع الثقافي:

انبعثت الحياة الاقتصادية من جديد في تونس ونشطت الدراسات الدينية من علوم القرآن والنحو والصرف بمختلف جهات البلاد في كل من القيروان[1] وسوسة[2] وصفاقص[3] وكثر فيها عدد العلماء من ما مالكية وحنفية.. الخ وهذا الانبعاث يعود إلى:

- تشجع الدايات الأوائل والبايات المراديين في القرن 17 م للعلوم والفنون وسعيهم لتشيد حواضر تعرف بهم على نحو ما قام به السلاطين العثمانيين.

- اهتمت الأسرة الحسينية بالتعليم با لتعليم حيث شجع حسن بن علي على التعليم وبني المدرستين الحسينية والنخلة وبني قصر في باردو مقرا رسميا لحكومة الايالة وبني علي باشا مدارس أهمها المدرسة الباتشية[4].
- الجاليات الاندلسية التي كان لهما يد في تشييدها لمدن عرفت بها: كا سليمان العالية والسلوقية.
- عائدات النشاط البحري ساهمت في تشييد العديد من الجوامع، جامع الزيتونة وجامع حمودة باشا[5] كل هذه العوامل مجتمعة أسهمت في تطور وازدهار الحياة الثقافية في تونس.

(1) القيروان: مدينه كبيرة أسسها عقبه بن نافع في عصر الخليفة عثمان بن عفان، وهي تقع على سهل الشاسع لاطرق ويؤكد المؤرخون العرب أنها أجمل المدن التي بناها المسلمون، انظر: مار مول كار بخال، إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية، ج1، مكتبة الهادف للنشر والتوزيع، ص، ب 239 الرباط، ص97.

(2) سوسة: يذكر الوزان بأنها مدينه عتيقة بناها الرومان على ساحل المتوسط، تبعد 100 ميل عن تونس، ينظر: حسن الوزان،المصدر السابق، ج2، ص83.

(3) صفاقس: وصفها ليون الإفريقي قائلا: مدينة عتيقة بناها الأفارقة، أيام محاربتهم للرمان على الساحل المتوسط فهي مدينة كبيرة محاطة بسور عالي، ينظر: الحسن الوزان، نفسه، ص87.

(4) كوثر العايب ، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الديات (1711-1830) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف محمد السعيد، جامعة الوادي، الجزائر، 2013-2014، ص26.

(5) أبو عبد الله القيرواني، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1982، ص193.

- **3: أهم البايات النافذة في البيت الحسيني[1]:**

البايات	فترة الحكم
حسن بن علي	1705-1735م
علي باشا	1735-1736م
محمد بن حسن	1756-1759م
حموده باشا بن علي	1752-1814م
عثمان داي	1814-1814م
محمد باي بن حمودة	1814-1824م
مصطفى باي بن محمد	1835-1837م

(1)ابن ابي الضياف،المصدر السابق،ج2 ،ص ص15-85.

المبحث الثاني : أوضاع الجزائر بين (1705م – 1835م)

المطلب الأول: الوضع السياسي.

تزامن الوضع السياسي في الجزائر آنذاك بمرحلة تعرف باسم مرحلة حكم الدّايات(1710م1830)م[1]، وقد نتجت هذه الفترة من عدة تغييرات بداية من إلغاء منصب الباشا[2]، وذلك في عهد الدّاي[3] علي الشّاوش[4] الذي وضع حدا لازدواجية السلطة واقنع السلطة العثمانية بقراره وذلك بتعيينه كباشا إضافة إلى المنصب الدّاي وبذلك ادمج المنصبين معا وهكذا أصبح يستعمل الفرمان الوارد من اسطنبول إلى حكام الغرب[5] وهذا ما اكسب الدّايات نفوذا كبيرا مما أدى إلى توليهم السلطة بشكل رسمي .

أما في عهد محمد الخز ناجي[6] أو والداي محمد 1718م الذي عمل على قطع علاقاته الدبلوماسية مع الباب العالي وأغلق كل الأبواب الطامعة للسلطة العثمانية

---

(1) الملحق رقم 4 : جدول يوضح أهم الدّايات ، ص95.

(2) الباشا: كلمة تركية "باد شاه" و تعني الملك أو الرئيس أو السيد ، انظر كتاب: غنية الشهابي: معجم أرباب السلطان في الدولة الإسلامية من العصر الراشدي حتى بدايات القرن العشرين ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ،سوريا 1995، ص40.

(3)الداي: يعني صاحب الدولة و يعتبر ممثل شرعي للسلطان العثماني كما يوضع على رأس السلطة التنفيذية في البلاد انظر الكتاب: يحي بوعزيز، علاقة الجزائر بمماليك و دول أوربا في ما بين القرن السادس عشر و مطلع القرن التاسع عشر الجزائر، 1983م، ص81.

(4)علي الشّاوش: بابا علي أو بابا علي شاّوش هو احد دّايات الجزائر ، حكم عام 1710م مالي عام 1718م نفذ إصلاحات سياسية مهمة. انظر مبارك بن محمد ألميلي، تاريخ الجزائر في القديم و للحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، ص186.

(5) يحي بوعزيز ، مختصر تاريخ الجزائر، ج2، ط2، الجزائر، 2009م، ص47.

(6) الخز ناجي: هو مسئول الذي يمكنه التصرف في خزينة الدولة بأمر من الدّاي و قد تعددت مسؤولياته من المهام المالية إلى المهام العسكرية مثل تولي إبراهيم الخز ناجي حملة عسكرية ضد الثائرين في نواحي وهران، 1736م-1738م، انظر كتاب: ناصر الدين سعيد وني، ورقات جزائرية دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر،ط2، دار البصائر، الجزائر،2009م، ص166.

بالجزائر[1] وقد كانت علاقة الحكام بالسكان علاقة ودية منذ سنة 1711م خاصة علاقتهم بالأعيان والعلماء الذين كان لهم دور في تعيين ومبايعة الحكام وفقا لما يتماشى مع ظروف الايالة سواء الخارجية أو الداخلية وذلك في إطار الإصلاح الإداري وتحسين الوضع السياسي وعدم سماحهم لأي حاكم بالتفكير بتوريث حكمه أو التشبث بمقايد الحكم[2]

أما سياستها الخارجية فكانت تحتل مكانة كبيرة بين الدول خاصة دول البحر المتوسط حيث كانت الدول الأوروبية مثل: أوغندا، فرنسا، النرويج، وغيرهم يدفعون الضرائب ويقدمون الهدايا إلا أن الجزائر لم تسلم من الحملات الصليبية مثل حملة اسبانيا 1770 و1775م فضلا عن احتلالها للمرسى الكبير ووهران إلى غاية 1792م، حيث حررت مدية وهران نهائيا[3] .

المطلب الثاني : الوضع الاقتصادي.

عرف الاقتصاد الجزائري في الفترة العثمانية ازدهارا كبيرا وتطورا ملحوظا وذلك من خلال كثرة الإنتاج الزراعي بشتى محاصيله مثل القمح الذي بلغت نسبة إنتاجه 18 قنطار في الهكتار والشعير بنسبة 19 قنطار تقريبا في القرن ال16 السادس عشر، بالإضافة إلى

(1) عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ط7، الجزائر، 1994م، ص219-220.

(2) مسلم عبد القادر، أنيس الغريب و المسافر، تح : رابح بونار، الجزائر،1974م، ص97.

(3) حسان كشرود، رواتب الجند وعامة الموظفين و أوضاعهم الاجتماعية و الاقتصادية بالجزائر(1679-1830)م، مذكرة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث،إشراف (د. فاطمة قني)،قسن طينة،2007-2008م، ص42.

محاصيل أخرى كالأشجار المثمرة المتواجدة في المناطق الأهلة بالسكان كبلاد القبائل ودار السلطان[1].

1-القطاع الزراعي والثروة الحيوانية : كان الاقتصاد الجزائري يعتمد عليها بشكل كبير جدا وذلك لاتساع الأراضي الزراعية وخصوبة التربة واعتدال المناخ وتنوع التضاريس الذي سمح بتنوع الغطاء النباتي والمحاصيل الزراعية وقد قسمت هذه التضاريس إلى:

- المنطقة الشمالية: تتوزع فيها السهول الشاسعة نسبيا والضيقة المنحصرة بين الجبال وتتميز بوفرة المياه وخصوبة التربة التي تكون في مناطق سوداء وفي مناطق أخرى حمراء إلا أنها خصبة في كلا الحالتين[2].

- المنطقة الوسطى(الهضاب العليا): تقع بين سلسلتين جبليتين هما: الأطلس ألتلي والأطلس الصحراوي أراضيها مرتفعة نسبيا وتنتشر فيها المراعي الفسيحة لذلك تعتبر منطقة رعوية بالدرجة الأولى وتساهم بشكل كبير في إنتاج الحبوب[3].

(1) قسمت الجزائر في العهد العثماني الر أربعة مقاطعات ، دار السلطان بالجزائر العاصمة و نواحيها و تمتد من دلس شرقا إلى شرشال غربا و خضعت هذه المقاطعة لتنظيم محكم و تسيير مركزي لتواجد السلطة المركزية بها أما بايلك التيّطري أسس جنوبا عام (1540م) وعاصمة المدية وبايلك الشرق أسس (1567م) وهو الأكثر مساحة يمتد غربا حتى بلاد القبائل و جنوبا حتى الصحراء و شرقا حتى حدود تونس عاصمة قسن طينة أما بايلك الغرب (1563م) تحده الحدود المغربية غربا، و بايلك التيّطري شرقا و الصحراء جنوبا عند احتلال وهران من قبل الأسبان انتقلت عاصمة إلى مازونة في معسكر بعدها عادت لوهران بعد تحررها 1792م ويعين باي على رأس كل بايلك ويعين قائد يدير النواحي الريفية و يتبعه الشيخ الذي يدير دوار أو قبيلة ويختار هؤلاء من طرف الأتراك و الكّراغلة، ماعدا الشيخ فانه يختار من أبناء القبيلة أو القرية انظر كتاب: ابن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة الّبكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق: محمد عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1972م، ص58-61،و كذلك ناصر الدين سعيد وني، ورقات جزائرية، ط2، البصائر، الجزائر، 2009م، ص224 و أيضا عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، ط1، دار الأمة، الجزائر 2011م، ص217-

(2) ارزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر و عوامل انهياره 1800-1830م، دار الكتاب العربي ، ص56.

(3) نفسه، ص57.

المنطقة الجنوبية: وهي اكبر المناطق مساحة وتغطيها الرمال تعتبر مناطق قاحلة. إلا أنها تحتوي على بعض الواحات الخضراء، المزروع فيها أشجار النخيل.

وهذا التنوع ساعد على وفرة كل أنواع المحاصيل.

وكانت الأراضي الزراعية الجيدة تقع في سهل متيّجة والمناطق الشرقية والغربية بين البلاد إلا أن هذه الأخيرة كانت أول إنتاجا من نظيرتها الشرقية وكان سبب هذا الضعف تمركز الأسبان في مدينة وهران مما جعل الفلاحين يغادرون الأراضي الزراعية[1]، وقد كانت كل منطقة مختصة في إنتاج أنواع معينة من المحاصيل مثلا القمح كان ينتج في بجاية وسهل متيجة بوفرة إلا أن أجوده يأتي من تلمسان يقول سالر: "وهذا القمح مشهور في الأسواق الايطالية ويفضله التجار على جميع أنواع القمح الأخرى بسبب جودته لصنع "الماكارونة" وغير ذلك من أنواع العجائن[2] "، وإلى جانب المحاصيل كانت هنالك ثروة غابية, كبيرة إلا أنها مع الوقت بدأت بالتدهور بسبب استغلالها في بناء السفن والمنازل.

أما أنواع الملكية الأراضي الزراعية الموجودة في الجزائر فقد عرفت أنواع عديدة وهي: الملكية الخاصة، ملكية الدولة أو البايلك، ملكية الأوقاف، ملكية العرش، ومهما كانت أنواع الملكيات الزراعة[3] فان استغلالها تم عن طريق آلات بسيطة، ولم يقتصر دور الفلاحين على الزراعة فقط, بل حتى تربية المواشي مثل الأبقار والأغنام والماعز والخيل وغيرها من الحيوانات الأليفة فقط كان عدد الأغنام يصل أحيانا إلى سبعة أو ثمانية ملايين رأس وهذا يدل على الإنتاج الوفير . مما يؤكد وفرة اللحوم والصوف والجلود، وقد كانت الجزائر تصدر سنويا من ميناء الجزائر إلى أوروبا حوالي 20 إلى 25 ألف قطعة جلدية و7 إلى 8 ألاف قنطار من الصوف الآتية كلها تقريبا من التي طري وكان هذا سنة 1788م[4].

(1)،ارزقي شويتام ، المرجع السابق ،ص57-58.

(2)نفسه، ص 58.

(3) نفسه.

(4) نفسه، ص59.

أما من أسباب عرقلة النمو الزراعي وتطورها فنذكر عدة أسباب من بينها:

- السياسة الضريبية مما أدى إلى انخفاض موارد البلاد الواردة من القطاعات الاقتصادية الأخرى.
- الثورات وحركات التمرد الداخلية.
- الكوارث الطبيعية التي شهدتها البلاد في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني[1].

2-القطاع الصناعي: اعتمدت الصناعة التقليدية التي كانت تستمد خاصتها الأولية في أساسها من الإنتاج الزراعي والحيواني مما جعل إنتاجها متنوعا وقد تصدرت صناعة النسيج الطليعة وذلك لوفرة المواد الخام كالصوف والحرير. ومن أجود الأنواع الزرابي كانت في قلعة ابن راشد[2]، كما اختصت قسن طينة بنسج الحياك وعلاوة على صناعة النسيج, انتشرت صناعة الاخزفة الصوفية والحريرية كالمناديل والشالات وهذه المنتوجات الحريرية كانت تباع بأسعار أغلى من المنتجات الفرنسية والايطالية لأنها أجمل وامتن ولها ألوان جميلة[3] إضافة إلى صناعات أخرى كدباغة الجلود والشواشي وكذا الحلي الذهبية التي كان اليهود يحتكرونها.

والملاحظ أن الصناعة في الجزائر بقيت محافظة على طابعها التقليدي وذلك لعدم محاولة تطويرها ومع تراجع القطاع الزراعي شهد القطاع الصناعي نفس المصير ذلك لارتباطها ببعض , وهذا ما جعل الصناع يعانون من صعوبة الحصول على المواد الأولية وادي ذلك إلى ارتفاع أسعار المصنوعات وقلة إنتاجها فضلا عن الضرائب الباهظة التي كان الصناع يدفعونها عن مصنوعاتهم ودخول المصنوعات الأجنبية واستيرادها والتي تنافس

(1) نفسه، ص 60-61.

(2) ارزقي شويتام ، المرجع السابق، ، ص62.

(3) وليام شالر ، المصدر السابق ص 93.

مثيلتها المحلية مما أدى بكل هذه العوامل إلى أضعاف الصناعة في الجزائر بعد أن كانت ركيزة أساسية في اقتصاد البلاد[1] .

3-القطاع التجاري: مارس الجزائريون نشاط تجاري واسع في العهد العثماني حتى أصبح من الدعائم الرئيسية للاقتصاد الجزائري وتجلى ذلك في العدد الهائل للمحلات التجارية والأسواق التي كانت منتشرة عبر مختلف المدن الساحلية والداخلية ومهما بلغت أهمية التجارة الداخلية فإنها تبقى استهلاكية ومحدودة لهذا لم تكن التجارة الجزائرية مقتصرة على التجارة الداخلية فقط بل امتدت إلى ما وراء الحدود. حيث انقسمت التجارة الجزائرية إلى قسمين : القسم الأول تمثل في التجارة الداخلية التي كان يقوم بها الأهالي في غالب الأحيان وثانيا التجارة الخارجية التي كان يمارسها الأجانب والبعض الأهالي[2] .

فقد أصبحت المدن الجزائرية مراكز تجارية هامة يؤمها الأهالي داخليا وخارجيا نظرا للتنوع الزراعي والصناعي وساعدت هذه الحركة التجارية على خلق نوع من التكامل بين المدن والأرياف كون هذه الأخيرة الممول الأول للأسواق فكانت كل قبيلة تأتي إلى الأسواق والمدن بالحبوب والمواشي والجلود والأصواف ويأخذون بالمقابل المواد والمصنوعات التي لا ينتجونها في مناطقهم وكذلك سكان الصحراء المتوافدين إلى الشمال محملين بالتمر والأصواف المغزولة ويأخذون الصوف الخام والحبوب والأغنام والزبدة، وكانت هذه المبادلات تتم في مواسم الحصاد, حيث تكثر الحبوب في الأسواق الشمالية وتنخفض أسعارها. وكانت أهم المراكز التجارية تقع في مدينة الجزائر وقسن طينة وتلمسان ووهران وذلك بعد تحريرها عام 1792م[3] .كما يجدر بنا ذكر العلاقات التجارية الجزائرية مع الدول الجنوبية كمالي والنيجر وكانت تتولى هذه التجارة القبائل الصحراوية. كما أنها كانت للجزائر

(1) ارزقي شوي تام، المرجع السابق، ص63.

(2) محمد العربي الزبيري : التجارة الخارجية للشرق الجزائري ما بين 1792-1830م،ش و ن ت ،الجزائر،1984م، ص ص64-65.

(3)نفسه,

علاقات تجارية مع الدول الأوروبية كانجلترا[1] وايطاليا وخاصة فرنسا وكذلك الدول المجاورة لها وعلى وجه الخصوص تونس .

4-الموارد المالية : مع انتعاش النشاط الاقتصادي في الجزائر أدى إلى تنوع مصادر ماليها التي تنقسم إلى قسمين هما:

الموارد الثابتة: وكانت تأتي من مصادر متنوعة كالضرائب التي كانت مقررة على القطاع الزراعي وهي أيضا متنوعة حسب تنوع الأراضي الزراعة من حيث ملكيتها ومحاصيلها ومساحتها[2].

موارد غير ثابتة: ويرجع هذه الموارد إلى عائدات بيت المال التي كانت تحصل عليها من الأملاك العقارية التابعة للدولة ومن ممتلكات الأموات الذين لا يملكون ورثة أما بقية الموارد فتاتي من الغنائم البحرية لآيتاوات المقررة على الدول الأوروبية، والولايات المتحدة الأمريكية وكذا الهدايا[3] التي يدفعها القناصل أثناء تعيينهم[4] وفدية الأسرى وغريمات مختلفة ومبالغ الوظائف التي كانت تباع من حين لأخر.

المطلب الثالث: الوضع الاجتماعي.

يتكون المجتمع الجزائري بتركيبة مختلفة خاصة بعد انضمامه للدولة العثمانية حيث وفد إليه الأتراك ولأعلاج والأندلسيين هذا فصلا عن السكان الأصليين[5] (العرب والامازيغ)، وقد أصبح تصنيف السكان أو الفئات السكانية كالتالي :

(1) ارزقي شوي تام ، المرجع السابق، ص 65-67.

(2) نفسه، ص75.

(3) نفسه, ص77.

(4) محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في مكان الأمير عبد القادر و أخبار للجزائر، شرح و تعليق ممدوح حقي، منشورات أيالة الأبيار ، ج1 ، الجزائر ، 2007 ص144-166.

(5) صالح فركوس ، تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى الخروج الفرنسيين ، دار العلوم ، الجزائر ، 2003 ، ص110.

1_ سكان المدن :

_ الأتراك العثمانيون:

لقد شكلت هذه الفئة أقلية اجتماعية وكانت هي الحاكمة والمسيطرة على السلطة والإدارة[1].

وكان سبب مجيئهم للجزائر استبداد القوى المسيحية في السواحل الجزائرية ومحاولة احتلالها وقد كان الأتراك المقيمين بالجزائر سواء عسكريين أو مدنيين[2] ينحدرون من أباء وأمهات أتراك وفي الغالب يتم استقدامهم من المشرق[3] وقد بلغ عددهم في الأيام الأولى من قدومهم الجزائر إلى نحو الألف وارتفع إلى 22000 نسمة في فترة ازدهار المدن وبعدها بدا في الانخفاض إلى 4 ألاف نسمة وذلك مع تقهقر المدن[4] وعرفت هذه الفئة بالخاصة وتميزت علاقتهم بالعرب بالعداء تارة والسلم تارة أخرى وقد قال هايدوا في هذا السياق :"انه لا يوجد في الإمبراطورية العثمانية علاقة أسوء من علاقة الترك بالعرب في مملكة الجزائر "[5]

- **الكراغلة:**

يطلق عليهم أيضا كورا وغلان وهي تلك الشريحة التي تكون نتيجة زواج أفراد الجيش التركي بنساء الجزائر وعرفوا بأبناء العبيد[6] هذا ولم يرث الكراغلة الامتيازات السياسية عن

---

(1) بالبروات بن عتو محمد ،المدينة و الريف بالجزائر أواخر العهد العثماني،ج1،دار كوكب للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2016 ،ص265

(2) مذكرات وليام شالر ، قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824 ، تقديم و تعليق إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982 ، ص54 .

(3) رحلة الألماني ، ج ، أو.مانيسترايت إلى الجزائر و تونس و طرابلس (1145هـ -1732 م) ، ترجمة ناصر الدين سعيد وني ، دار الغرب الإسلامية ، تونس ، ص29.

(4) حليمي عبد القادر ، مدينة الجزائر نشأتها و تطورها قبل 1830 ، ط1 ، دار الفكر الإسلامي الجزائر ، 1972 ، ص258.

(5)6-haedo ، histoire des rols d'alger et annotéc ، par(H.D) grammont ، 1881 ، p219.

(6) محمد بن عبد القادر الجزائر، المصدر السابق ، ص49.

أبائهم بل على العكس لم يكن لهم الحق في الانتساب إلى الجيش ولا الحصول على مناصب إدارية وبهذا ظلوا بعيدين عن السياسة والسلطة[1] ومن الجدير بالذكر أنهم ورثوا عن أبائهم انتماءهم المذهبي إذ جلهم أحناف[2] وقد ناهز عددهم حوالي الستة ألاف نسمة في القرن ال16، وأصبحوا يشكلون الأغلبية من سكان الجزائر .

- **الاعلاج:**

هم مسيحيون يعتنقون الإسلام ونطقوا بالشهادتين ثلاث مرات[3] ويعتبر الاعلاج عنصرا دخيلا ارتبط وجوده بنشاط البحري وكان عددهم يزيد بحسب النشاط البحري، ومعظمهم ينشطون ضمن طائفة الرياس ولبعض الأخر في الانكشارية وقد جلبوا عن طريق الأسر والجدير بالذكر أن بعض من أفراد هذه الفئة تقلدوا مناصب عالية مثل العلج علي[4]

- **الحضر :**

أو كما يطلق عنهم البلدية تتشكل هذه الفئة من المجموعات السكانية القاطنة بالمدن والتي ترجع أصولها إلى الفترة الإسلامية وأيضا انظم إليها الأشراف والأندلسيين[5] وهم الوافدون من الأندلس نتيجة الاضطهاد والنفي الذي تعرضوا له خاصة بعد سقوط غرناطة في 2 جانفي 1492م[6] وقد استقروا في العديد من المدن الجزائرية كدلس ومست غانم

(1) عمار عمورة ، موجز في التاريخ الجزائر ، الطبعة الأولى ، دار ريحانة ، الجزائر ، 2002 ، ص74.

(2) احمد بحري ، الجزائر في عهد الّدايات دراسة للحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية ، ج2 ، دار الكفاية، الجزائر ، 2013 ،ص20.

(3) بلبروات بن عتو محمد ، المرجع السابق ،ص280.

(4) الّعلج علي : هو من أشهر حكام الجزائر في الفترة العثمانية أصله من كلا بري الايطالية بصقلية ولد سنة 1500م و قد تولى حكم الجزائر في 14 صفر 1569م، انظر كتاب: ابن المفتي: تاريخ باشاوات الجزائر و علمائها ، جمع: فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة ، الجزائر ، 2009م ،ص41.

(5) ناصر الدين سعيد وني و المهدي بوعبدلي ، الجزائر في تاريخ العهد العثماني ، ج4 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 ،ص97.

(6) محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر و دور الإخوة برب روس (1512م-1543) تصدير ناصر الدين سعيد وني ، ط3 ، شركة الأصالة ، الجزائر ، 2015 ،ص64 .

وغيرهم وأسهموا بشكل كبير في ازدهار المدن الجزائرية وقد مثلوا حوالي 5% من السكان ويعيشون منفصلين عن الجماهير الأرياف[1].

- **البرانية:**

تألفت من المجموعات السكانية التي هاجرت إلى المدن الكبرى ك قسن طينة وتلمسان والجزائر وغيرها للعمل والإقامة فيها وهذه المجموعات هي:

-جماعة بني مزاب:

وينتسبون إلى القبائل البربرية الأصل تسمى قبائل الزناتة تستقر هذه القبائل في الواحات الواقعة الاغواط وتوات[2] كان عددهم في الجزائر في الجزائر يفوق 6 ألاف نسمة[3] ويترأسهم أمين حرفي يختار من وادي مزاب ب غرداية ولا يعترفون إلا بالسلطة وينتمون إلى المذهب الذي يدين به الوهابيين[4] ولغتهم امازيغية وتلتقي لهجتهم مع اللهجة القبائلية[5].

-جماعة البسا كرة :

هم القبائل العربية الصحراوية في مدينة الجزائر كانت السلطة تستخدمهم كوسطاء في التجارة بين الجزائر وغدامسة[6] مارسوا عدة أعمال شاقة كحراسة أبواب شوارع المدينة ليلا

(1) أبو قاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي (1500-م1830) ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1998 ،ص148 .

(2) بلبروات بن عتو محمد ، المرجع السابق ص 290.

(3) ناصر الدين سعيد وني تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، المرجع السابق ص236.

(4) حسن بن محمد الوزان ، وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ، ج2 ، ط2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان 1983 ، ص135.

(5) وليام شالر ، المرجع السابق ص 112.

(6) نفسه ص110.

وتزويد المدينة بالماء والحطب[1] ويتولى شؤونهم أمين يعرف ب" بسكري سيدنا " له نفوذ قوي وكلمته مسموعة عند الحكام[2]

- **الاغواطيون** : ينتسبون إلى واحة الاغواط، جنوب الأطلس الصحراوي وبسبب الظروف المناخية وتقهقر التجارة الصحراوية بداية من العصر الحديث هاجر عدد كبير من أبنائها نحو المدن الجزائرية[3] وقد احتكرت هذه الفئة أعمال التنظيف في الشوارع وتصنيف الزيوت[4].

_ **الجيجليون** : اعتادت هذه الفئة على الهجرة نحو مدينة الجزائر. وذلك بسبب علاقتهم الخاصة بالأتراك منذ مجيء الإخوة برب روس إلى جيجل[5]. واستعانة الأخوين بأهالي جيجل لقمح نورة ابن القاضي وقد عمل الجيجليون في المخابز والمصانع وبعض المهن الأخرى التي كان يعرف عنها أمينهم والذي يعد من أغنياء الجزائر

_ **القبائل:** اشتقت كلمة القبائل, وهذا ينطبق على وضعهم السياسي فهم يعيشون في الجبال ويشكلون جمهورية مستقلة[6] عن غيرها من المناطق وحكومتهم عبارة عن مزيج من الديمقراطية والارستقراطية لا تتمتع بما ينبغي من السلطة وقد احتكروا أشغال البناء واغلبهم يأتون من مملكة كوكو وإمارة بني عباس[7] وكانوا يتميزون بوشم على خدهم الأيمن واستعملهم الأتراك في الحرب كقبيلة زواوة.

---

(1) وليام سبنسر ، الجزائر في عهد رّياس البحر ، تقديم عبد القادر زياي دية ، دار القصبة للنشر ، الجزائر، 2006 ، ص100

(2) زليخة سماعي لي ، تاريخ الجزائر من فترة ما قبل التاريخ إلى الاستقلال, ط 1 , دار الجزائر ,الجزائر 2013 ،ص333 .

(3) بلبراوات بن عتو محمد،المرجع السابق،ص 293.

(4) حنيفي هلا يلي ،أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،ط1،دار الهدى للطباعة،الجزائر،2008،ص170.

(5) ناصر الدين سعي دوني و المهدي بو عبدلي ،المرجع السابق،ص101.

(6) وليام شالر،المصدر السابق، ص 113-114.

(7) صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومة،الجزائر،2012،ص 339.

_ **الزنوج :** أطلق عليهم اسم الوصيف أو العبد وكانت هذه الفئة متقطعة عن أوطانهم الأصلية وأهلهم[1] وغايتهم, قدموا من السودان عن طريق الواحات الصحراوية للعمل وقد تكاثر عددهم في نهاية القرن 18[2],وقد شكل الزنوج جزء صغير من السكان سرعان ما يحصلون على حريتهم باعتناقهم للدين الإسلامي[3], كما أن لديهم أعيادهم الوطنية والدينية خاصة بهم، تدعى "الدر درية" التي يقدم فيها مجموعة من الحيوانات كقربان للجن[4]

_ **الأسرى المسيحيون**: تم اسر عدد معتبر من الأوروبيين وتم احتجازهم من قبل السلطة العثمانية بالجزائر وذلك في إطار الحرب التي قانت بينهم وأصبحت المدن الجزائرية تعج بهم وكان هؤلاء الأسرى من أجناس مختلفة كالانجليز والأسبان والايطاليين وفي نهاية القرن 16[5] اسلم عدد كبير من الأسرى وأصبحوا رياسا للبحرية مثل فيرير الرايس الجنوي[6].

_ **اليهود**: تعتبر هذه الفئة في الجزائر جالية محلية قديمة وهناك أخرى جديدة، قدمت الجزائر في أواخر العصور الوسط من اسبانيا وايطاليا وفرنسا[7] وهاجر بعضهم مع الأندلسيين عند طرد الأسبان لهم .

وكانوا يعاملون من قبل الجزائريين معاملة أهل الذمة واعتبروهم جيران لهم حرية العمل والمعتقد وليس هذا وحسب بل أنهم كانوا ينالون المناصب الرفيعة في الإدارة إلا أنهم اعتبروا

(1) فاتح بالعمري ، الحياة الحضرية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحلة ،رسالة لنيل شهادة دكتوراه،جامعة الأمير عبد القادر ، كلية الآداب، قسم التاريخ ،2016-2017،ص 291.

(2) خليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر في العهد العثماني، ج3،ط1، دار الزواوي للدراسات، الجزائر،2015،ص92.

(3) نور الدين عبد القادر،صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتماء الحكم التركي،دار الحضارة،الجزائر،2006،ص 143.

(4) وليام شالر،المصدر السابق،ص 92.

(5) هاينرين فون مالتان، ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا ترجمة أبو العيد دودوا، ج3،شركة الأمة للطباعة، الجزائر، 2009،ص 89.

(6) جون وولف،الجزائر و أوروبا 1500-1830، ترجمة،أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1986،ص 171.

(7) محمد خير فارس، تاريخ مدينة الجزائر،من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1،جامعة دمشق،1969، ص 102.

انفيهم جالية مستقلة فلا يشاركون في الدفاع عن البلاد ولا يراعون مصلحة الوطن[1]. وتعتبر أشغال المعادن الثمينة وأعمال الصرافة في مهنتهم التقليدية وعملوا كذلك في صك النقود والتجارة الخارجية[2].

2-**سكان الأرياف** : وهذه الفئة تقسم إلى ثلاثة أصناف وذلك حسب علاقتهم:

- **قبائل المخازن**: وهي الصنف الأول وتعتبر الوسيط بين السلطة والأهالي والحكم بينهم وتقدم الميعاد للسلطة في حال حدوث ثورة وذلك بتدعيمهم بالجند[3]، وتتلقى مقابل ذلك امتيازات عديدة وتعتبر وظيفتها الأساسية هي إحلال الأمن والسلام بين القبائل[4] ومع القرن السابع عشر كشفت السلطة اعتمادها على هذه القبائل[5].
- **قبائل الأوطان**: تتكون من اسر الخماسين والبحارين والرعاة والفلاحين المستخدمين من طرف ملاك الاحواش أو الأراضي[6] وكانت هذه الفئة مطالبة بتقديم أنواع عديدة من الجبايات والمساهمات في خدمات إلزامية لمصالح الدولة وأعيانها وتنفيذ تعليمات موظفي الجهاز الإداري من شيوخ وقياد[7] وتعتبر هذه الفئة خاضعة للحكام الأتراك ويتم استخدامهم من قبل أهل المخزن وتجنيدهم في كل وقت فهم تحت تصرفهم دائما[8] .

---

(1) احمد توفيق المدني ،هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،1956، ص ,41-42.

(2) اندريه ريمون ، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة لطيف فرج، ط1، دار الفكر للدراسات ، القاهرة، 1991ص 84 .

(3) ناصر الدين سعيد وني و المهدي بوعبدلي، المرجع السابق ,ص 87.

(4) محفوظ قداشي، "الجزائر في العهد التركي"، مجلة الأصالة، العدد 52 ، السنة السادسة، 1977 م ، ص 10.

(5) السعيد شلالقة ، "التواصل بين السلطة الحاكمة و القبائل في فرض السيطرة الكاملة من مختلف جهات البلاد"، مداخلة في الملتقى الوطني حول السلطة و المجتمع في الجزائر العثمانية – العلاقة بين الراعي و الرعية ، تبسه، الجزائر، 20-21ماي 2012م.

(6) ناصر الدين سعيد وني،الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1794-1830)، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص420.

(7) ناصر الدين سعيد وني، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص130.

(8) مبارك بن محمد ألميلي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 2011،ص292.

- **الأحلاف(القبائل المتحالفة):** تتكون هذه الفئة من الأسر الإقطاعية كبرى مثل أسرة المقراني بمجانة وبن قانة بالزيبان وغيرها ,وكان لها دور كبير في الوساطة بين القبائل المتمردة والسلطة الحاكمة[1], ولها دور كبير كذلك في حماية المالك والطرق المارة بأراضيها كما يقوم مشايخها بجمع الضرائب[2] وتعتبر هذه القبائل ذات شان كبير جعلت من الحكام الأتراك يتوددون لمشايخها بين الحين والأخر قصد استمالتها لهم[3].
- **قبائل ممتنعة:** أي المترددة على السلطة ويقطنون في المناطق النائية والجبلية[4] وبالرغم من هذا الاختلاف إلا أن المجتمع الجزائري لم يكن مجتمعا طبقيا بل كان لحمة واحدة امتزجت في بعضها البعض منتجة درجة عالية من التكاتف الاجتماعي[5] .

المطلب الرابع : الوضع الثقافي.

كان للجزائر حواضر علمية رفيعة المستوى وتوفرت على أقطار ومرتكز ثقافية ودينية في كل من بجاية وقسن طينة والجزائر العاصمة، تلمسان ومازونة[6] وكان لها شان كشأن الأزهر في مصر والقرويين بفأس والزيتونة بتونس وقد انتشرت مراكز التعليم في كل القرى والبوادي وحتى الجبال النائية، حتى أن البدو الرحل كانت ترافقهم خيمة بها طالب يعمل على تلقين الأطفال القراءة والكتابة فضلا عن تحفيظهم القران [7].

(1) ارزقي شوي تام، المرجع السابق، ص83.

(2) احمد بحري، الجزائر في عهد الدّايات، دراسة الحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية، ج2، دار الثقافة، الجزائر، 2013، ص68.

(3) ناصر الدين سعيد وني و المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص108-109.

(4) نفسه، ص87.

(5) وليام سبنسر، المرجع السابق ص97.

(6) مازونة: عاصمة الظهرة ، مدينة قديمة سبقت الاحتلال الروماني، انظر كتاب: مولاي بلح ميسي من الجزائر خلال رحلات المغاربة، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، الجزائر، 1981م، ص78.

(7) احمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، سلسلة المشاريع الوطنية للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2009م، ص15.

وهذا ما لفت أنظار الرحالة والزائرين لهذا البلد حتى أن الفرنسيين اندهشوا عند احتلالهم للجزائر لعدم وجود الأمية، وقد انصب اهتمام هذه المراكز على العلوم الدينية والغوية في القران الكريم والتفسير وشرح الأحاديث النبوية وغيرها من العلوم إلا أن الرياضيات والفيزياء كانت موجودة بنسبة كبيرة نظرا لمحدودية تداولها في العهد، العثماني وقلة مدريها إما العلوم التجريبية فيقول الدكتور أبو القاسم سعد الله في هذا السياق "لم تكن تدرس على الرغم من وجود المطببين والصيادلة وكان الطب يتعلم بالتعود والممارسة لا عن طريق تحصيل علمي "[1].

إلا انه مع الاضطرابات السياسية في عهد الأغوات، والتي انعكست على الحياة الفكرية بشكل سلبي، وذلك من خلال هجرة العلماء إلى القطار المجاورة وهذا ما خلف فراغا ثقافيا في الحضارة أمثال احمد المقري[2] لتلمساني وسعيد قدورة[3] إلا أن هناك علماء اثروا على البقاء أمثال الشيخ عبد الكريم الفكون[4].

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ج1، 1998م، ص 352-354.

(2) احمد ابن محمد المقري: من ذرية القاضي أبي عبد الله المقري لتلمساني، ولد ب تلمسان وتعلم بها على يد عمه سعيد المقري ثم رحل إلى فآس وتعلم على يد القصار وابن النعيم وأبي العباس واحمد القاضي وابن عمران وبابا السوداني ثم رحل إلى مراكش و بعدها إلى فأس وولي فيها الإفتاء ولخطابة، انظر كتاب: أبو القاسم الحنفاوي، تعريف الخلف لرجال السلف تحقيق أبو الجفان عثمان بطيخ ، ط1، مؤسسة الرسالة والمكتبة العتيقة تونس، ج2، 2007م، ص57.

(3) سعيد قدوره : هو من عائلة قدوره والمؤسس العلمي لأسرة بن قدوره التي تولت الإفتاء المالكي بالعاصمة لأكثر من قرن دون انقطاع و تولي الشيخ سعيد قدوره الإفتاء، انظر كتاب ابو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 357

(4) آيت الفكون: هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون التميمي القسنطيني من مواليد قسن طينة 1580م توفي في نفس المدينة عان 1662م و يعتبر من ابرز أفراد عائلته علما وعملا وقد بلغت عائلة في عهده أوج قوتها المادية والمعنوية. انظر ناصر الدين سعيد وني، من التراث التاريخي الجغرافي الغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1999م، ص 376.

أما في مجال العمران فنجد أن المساجد العثمانية تميزت بطابعها الفني ودقة بناءها وتنوع زخارفها[1]، وكذا إحياء المدن ك دلس وتنس وجيجل وشر شال على يد الأندلسيين فضلا عن بناءها لمدن جديدة كالقليعة والبليدة وطوروا مدن أخرى كعنابه ومست غانم [2].

(1) احمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، سلسلة المشاريع الوطنية للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م،الجزائر، 2009م، ص 14.

(2) ناصر الدين سعيد وني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 98.

الفصل الثاني

العلاقات السياسية والاقتصادية بين الجزائر وتونس(1705-1835م)

المبحث الأول: العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس

بعد أن دخلت كل الجزائر وتونس تحت اللواء العثماني، ربطة بينهما علاقات سياسية عرفت بطابع التوتر، فيرغم من خضوعهم لحكم مباشر من طرف ايالة إسلامية عظمى، لم يمنع هذا من قيام بعض التوترات العسكرية السياسية، وكان لكل طرف ذريعة تخول له التدخل في شؤون الأخرى، وفي بعض الأحيان إعلان الحرب عليه، فاختلفت وتنوعت وتعددت الأسباب في نشوب هذه الصراعات وأخذت هذه العلاقات صور ومراحل أثرت على وضع البلدين، وهذا ما سنتطرق إليه في هذا العنصر.

المطلب الأول: مظاهر العلاقات السياسية خلال الفترة 1700-1756م

إن أهم ما يمكن تسجيله خلال هذه الفترة في شأن تطور العلاقات السياسية بين الايالتين، هو التدخل المباشر للجزائر في الشؤون السياسية لتونس، منذ أن استقلت تونس عن الجزائر.....م[1]، كانت بداية الصراع بين الايالتين، انطلاقا من هجوم مراد باي على قسن طينة 1700م متحالف مع البلدان المجاورة، المغرب الأقصى، طرابلس، بغية تشتيت الجيش الجزائري أثناء الهجوم وهذا في جويلية 1700م[2]، هذه الحملة تعتبر من اخطر الحملات في تاريخ الايالتين، بما خلفته من أضرار في كل من الأيالتين، ويذكر ابن الضياف أن سبب الحرب يعود إلى أن داي الجزائر رفض هدية مراد بوبالة لكن هذه الحرب جاءت تلبيته لدعوة وجهت له من طرف قبيلة حنانشة[3].

(1) السياح الفيلالي، العلاقات الجزائرية التونسية، 1800-1830م، بحث لنيل دبلوم الدراسات المعمقة، إشراف وبتوفيق، جامعة قسن طينة، الجزائر، 1982-1983م، ص40.

(2) العربي الحناشي، حنانشة وعلاقتهم بالسلطة في تونس 1640-1740م، مذكرة لنيل شهادة الكفاءة في البحث والإشراف محمد الهدي شريف، جامعة تونس1، س. ج، 1987م-1958م، ص47.

(3) ابن أبي الضّياف، المصدر السابق، ج2، ص29.

لكن هذه الحملة، فشلت إذ تمكنت القوات الجزائرية من هزيمة مراد باي في (قسن طينة) سطيف، في هذا الصدد يذكر روسو "ROUSSEAU"[1] « قال أن مراد باي لم يتراجع عن فكرة الهجوم والانتقام من الجزائر حيث ظلت قسن طينة محاصرة مدة 03 أشهر من الجزائر وممنوعة من المعونات الخارجية، لكن سكانها صمدوا ولم يتمكن الجيش الفرنسي من تجاوز أسوار المدينة».

1-حرب أوت 1705م بين الداي مصطفى وحسن بن علي:

بعد هزيمة مراد باي وهجومه على مدينة الجزائر، أعاد هذا الأخير الكرة على مدينة الجزائر لكنه فشل مجددا ولقي حتفه على احد جنوده[2]، بعد إلقاء القبض على إبراهيم الشريف تولى حكم الايالة حسن بن علي على حد قوله :بايعنا من راضينا[3]، والذي تمكن من قلب موازين القوى الصالحة بعدما اجبر الداي مصطفى على عقد هدنة يتعهد فيها بدفع كافة الخسائر الحربية.

ويقول في هذا الصدد ابن الضياف « فجاءت رسلهم بمكاتبيه للباي والداي والديوان في طلب الصلح، فعهد لهم الباي ديوانا وقرئت مكاتبيهم، فصدر الجواب أننا لا نرغب عن الصلح الذي سماه الله خير في كتابه العزيز، لكن على شرط أن تردوا ما اخذ تم من قلعة الكاف وتردوا ما أخذتهم من الإبل وتعطونا ما صرفناه لدفع ضرركم، فرجعت الرسل بذلك إلى الداي مصطفى، فسقط في يده، وعلم انه أضاع الحزم وتحققت عاقبة من دعا إلى الصلح ولم يجب، فلم يجيبوا»[4]، وهنا انسحبت القوات الجزائرية 1705م، تاركة كل ما لديها

(1)Alfonse rousseau,annales tunisiennes ;ou apercu historique sur laregence de la tunis ;alger ;pqstide1864. p85

(2) أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثة مائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792، ط1، طبع الشركة الوطنية للنشر الجزائر، 1976، ص66.

(3) ابن أبي الضّياف، المصدر السابق، ج2، ص87.

(4) نفسه، ص89.

من معدات حربية، وفور وصولهم (الجيش) إلى ارض الوطن تعرضت لهجوم، من طرف قبائل بني عباس.

كما وجد الداي نيران الثورة مشتعلة ضده لأنه تسبب في خسائر مادية، بشرية من جراء هذه الحروب، وفر هاربا للقالة ليتم بعدها القبض عليه، ليأتي بعده الداي حسن خوجة 1700-1707م، وأمر بإلقاء القبض على عائلته الداي السابق[1]، وتم إطلاق سراح إبراهيم الشريف فرجع إلى تونس، لكنه لقي حتفه على يد جنود حسن بن علي[2]، وعادت القبائل التي تخلت عن الجيش التونسي إلى التبعية التونسية لمقتل إبراهيم الشريف، وانتهت الحرب واستقر الوضع بعد قبول الداي حسن خوجة وإجلاء الجيش الجزائري وتقديم تعويضات الحرب[3].

2:الحرب الأهلية في تونس 1735 - 1756 م

استمرت الحروب الأهلية في تونس إلى غاية القضاء على حسن بن علي، الذي ظل في الحكم مده 5 سنوات، لكن جيش علي باشا كان أقوى، وبدأت مرحلة جديدة للعلاقات بين بايلك الشرق قسن طينة والآيالة التونسية التي عرفت نوعا من السلم، وتارة أخرى مناوشات بين الحكام أدت إلى الحرب، وظلت الأوضاع مستقرة في الجزائر والآيالة التونسية إلى 1741م، بعد أن تجرأ علي باشا وهاجم قبيلة النمامشة[4]، ولاحقها إلى الأراضي الجزائرية، لكن بأي قسن طينة بوحناك لم يظهر ضده أي ردة فعل، هذا ما يؤكد استقرار العلاقات بين

(1) نفسه، ص47.

(2) Alfonse rousseau, op.cit. p85

(3) محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق الدكتور محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، رغاية، الجزائر، ص29.

(4) نمامشة: من القبائل ذات النفوذ الكبير كانت تقيم على الشريط الحدودي لايالة الجزائر، شملت عائلة أولاد عيار التي كانت دائمة التحالف لعلي باشا وعائلة باشا وعائلة العشاش التي ساندت حسن بن علي خلال الحرب، 1735-1740 م ينظر:

emest mercies, histoire de comshantine, morle et lbiron, imprineurs-edilrurs, 1903, p257.

الآيالتين، ويعود سبب الاعتداء على القبيلة من طرف علي باشا 1741م لاعتداء أفرادها على قافلة الحج الآتية من المغرب الأقصى، والمارة من الشرق الجزائري حاملة أشياء ثمينة معها أثناء وصولها الحدود التونسية الجزائرية[1]، اشتكت القافلة لعلي باشا، وكانت الفرصة التي ينتظرها لينتقم من القبيلة خاصة في عام 1735م وقرر علي باشا ملاحقة أفراد القبيلة إلى الأراضي الجزائرية واعتبر ذلك طعن في العلاقات بين الإيالتين تونس ومملكة المغرب، هذه القبيلة كانت كل مرة تغير تبعيتها لأحد الحكمين ذلك جراء الضرائب التي كانت تقع على عاتقها وبعد تولى علي باشا الحكم في تونس فضلت الولاء للحكم الجزائري ونتيجة للأوضاع المزرية في الجزائر والمتمثلة في: الأمراض والكوارث الطبيعية، وانشغالها بحل المشاكل الداخلية، لم تتدخل في الأمر، كما كانت كل القوات مجندة للغرب لمواجهة الأسبان 1732م[2].

واستمرت العلاقات السياسية بين الايالتين الجزائرية والتونسية، إذ عرفت الايالتين فترات من السلم في تعاون من اجل إخضاع القبائل المتمردة خاصة في عهد حسن بن علي، لكن في سنة 1728م، ظهرت بوادر الخلاف بين الايالتين انطلاقا من الهجوم الثاني على الحنانشة، إذ تعود أسباب الهجوم على هذه القبيلة هو رفض الشيخ بوعزيز بن ناصر زعيم القبيلة دفع ما عليه من ضرائب سنوية، إذ كانت تعلن تمردها، مما جعل حاكم الجزائر وتونس يتفقا على تأديتها[3]، فعمل بوعزيز على تحريض القبائل الأخرى ضد الحاكمين بغية الانتقام من باي قسن طينة حسن بوكمية (1713-1736م) [4] الذي تحالف مع علي بن

(1) احمد حاج العربي، علاقة بايلك الشرق الجزائري بالايالة التونسية خلال القرن 18، شهادة لنيل مذكرة مكملة لنيل شهادة الماس تر في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 2019-2020، ص37.

(2) احمد حاج العربي، المرجع السابق، ص38.

(3) العربي الحناشي، مرجع سابق، ص51.

(4) محمد بن عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر، 1995، ص222.

حسن سنة 1715 وخرج الباي حسن بوكمية بجيش للهجوم على القبيلة رغبة في إخضاعها سنة 1724م.

وفي ظل هذه الاتحاد بين الايالتين التونسية وباي قسنطينة فإن هذا التعاون زاد من قوة القبيلة، واستغلت لتثور ضد الحسن بن علي خاصة وأنه منهمك في إطفاء نار الحرب الأهلية سنة 1728م، فانحاز بوعزيز لعلي باشا.

وبعد القضاء على المعارضين، اهتم حسن بن علي بشؤون الحكم إذ أسس حكومة قائمة على الاستقلال، عرفت بالحكم الوراثي وانتشر الأمن والسلم إلى غاية 1728.

وفي عام 1741م، والقي القبض على باخرتين فرنسيتين كانت تمارس التجارة غير المسموحة في الأقاليم الجزائرية التونسية بأمر من باي قسن طينة بوحناك وعلي باشا وتم اسر الطاقم الذي كان على متن الباخرة[1]، وكما تم ملاحقة القبائل في الحدود التي كانت تسبب نهب خيرات البلاد كالصوف، العسل، القمح، وهنا يظهر لنا السلم بين الايالتين مع بداية حكم علي باشا، الذي أسهم في المساعدات المالية التي كانت تقدمها تونس لترميم الأسطول الجزائري، لكن هذه العلاقة سرعان ما تلاشت، عندما أقدم علي باشا بالتدخل في شؤون الايالة الجزائرية[2].

وهدأت الأوضاع في تونس إلى عام 1752م، حيث ثار يونس باي على أبيه[3]، المعروف هذا الأخير ببطشه وارتكابه للظلم والتجاوزات في حق الناس، وقبل تمرد يونس باي عمل مع استمالة عدد كبير من الجند عن طريق تحسين سياسته في معاملتهم خاصة الأتراك الآتية من أزمير[4].

(1) seghir ban youcef, mechjj elmelki, chronique tunisienne (1705-1771) awrage traduten froncais par victor serest malnanned lasran, 2e ed bauslana, tunis, 1978, p 2800.

(2) حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص183.

(3) ابن أبي الضّياف، المصدر السابق, ج3، ص137.

(4) حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق ، ص73.

استولى يونس على القصر 24 ابريل 1952م، والتقى حوله القبائل الهادية لعلي باشا والقسم المجتمع التونسي إلى قسمين قسم "قبلي لتونس وقسم جوفي لعلي باشا[1] وبعد قتال دام 55 يوم، فشل يونس وتراجع ونشبت حرب أهلية، مما أجبر الموالين له بالتخلي عنه وانتهت الحرب في 1756م.

وبدأت مرحلة جديدة في تاريخ العلاقات الجزائرية التونسية خاصة بعد تولي الحكم التونسي محمد رشيد 1756م[2]، فقد عرفت سياسة علي باشا الخارجية بالحزم من ذلك:

- استرجاعه للمركز التجاري الجنوبي بطب رقة والعهد لصيد المرجان والحبوب.
- أما علاقته بالجزائري فقد تدهورت، حيث عمل على أتراك الجزائر على إرجاع أبناء حسن بن علي إلى الحكم فكانت المحاولة الأولى في 1746م، فاشلة ثم الحملة الثانية في 1756م انتهت بالقضاء على علي باشا.

المطلب الثاني: حمودة باشا وعلاقاته السياسية 1782-1814م

بويع في حياة والده سنة 1991، في 9 فيفري 1777م، ولما توفي والده في 31 ماي 1782م[3]، اجتمع أعيان الموظفين والعلماء وأعيان الأهالي وبايعوا حمودة باشا بالسلطة[4] وتجردت له البيعة من وزراء أبيه وأول من بايعه ابن عمه أبو الثناء محمود باي، مع حضور العلماء وأهل المجلس الشرعي، وأكابر الجند وجددوا له البيعة العامة وكاتب وزراء أبيه ورجال دولته على مراتبهم حسب ما ذكره ابن الضياف « قال أني لم أجلس في هذا الموضع بتغلب حربي حتى أحسن لمن أعانني واستشفى ممن حاربني وقد طلبتموني في

(1) عبد الحميد هنية، تونس العثمانية، بناء الدولة والمحل، ط1، منشورات تبر الزمان، تونس، 2012، ص86.

(2) الأرقش دلندة، الأرقش عبد الحميد، بن طاهر جمال، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي ميديا كوم، 2003م، ص65.

(3) ابن أبي الضّياف، المصدر السابق، ج3، ص15.

(4) رشاد الإمام، سياسة حمودة باشا في تونس (1782-1814م)، منشورات الجامعة التونسية، تونس، د:ط، 1980، ص 113.

حياة أبي، فأطلب منكم أن تكونوا لي كما كنتم لأبي والله تعالى ولي أعانه للجميع[1] فاستقام أمره ورسخت قدمه، قام حمودة باشا بأعباء الولاية مسترشد بأعيان البلاد كيوسف (الطابع، صاحب الطابع صالحا وقويا مستندا لدعم الدولة العثمانية بمصادقتها رسميا على ولايته وقد اعتبرت فترة حكمه 1782-1814م العصر الذهبي للدولة الحسينية[2] وقد بينت الدراسات أن حكم حمودة باشا وما حققه من انتصارات يرجع إلى سياسته المحكمة، فقد كانت أوروبا تعيش ما بين 1792-1814م حروبا جعلتها تحتاج للمتوجات التونسية الفلاحية، ومن جهة أخرى عاجزة عن وضع حد للقرصنة التونسية التي تحولت في النصف الثاني من القرن 18 إلى قطاع نشيط وحيوي، كما اغتنم حمودة باشا ظروف تلك الحروب ليحد من نشاط التجار الأجانب بالبلاد ويدعم التجار المحليين ويشاركهم تجارتهم، وتجلى الازدهار في نشاط الحركة التجارية، وهنا تمكن حمودة من البروز كحاكم عصري منسجم مع أوضاع البلاد، وكانت الانتصارات الخارجية تعبر عن ذلك الاستقرار والازدهار[3].

1-سياسته المنتهجة:

كان حمودة باشا من أبرز الشخصيات القيادية الإدارية العسكرية، إذ استعان بالأعيان في كل الأمور قبل تنفيذها، إذ كان يتألف ديوان تونس من الأغوات البولكباشيات[4]، والأوداباشّيات ويرأسهم الدّاي ويتولى السلطة الفعلية الباي يعرف رئيس الفرق المتجولة في الريف[5] فالدّاي يخضع للباي تم الكاهية الذي يكلف بتطبيق أحكام الدالة، أما أمر اليهود

(1) احمد ابن أبي الضّياف، المصدر السابق، ج2، ص72.

(2) نفسه، ص11.

(3) دلندة الأرقش، المرجع السابق، ص56.

(4) بولكباشيات: موظفون عسكريون ملحقين بلاوجاق تسند لهم المهمات الاجتماعية مثل(النظارة) نظارة الأوقاف والنظر في المهن والحرف. انظر: ناصر الدين سعيد وني النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830) ويليه قانون أسواق مدينة الجزائر (1695-1705) البصائر للنشر والتوزيع- الجزائر، ج3، ص57.

(5) محمود علي عامر، تاريخ المغرب العربي الحديث، (المغرب الأقصى، ليبيا) الجمعية التعاونية للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، د.ط، د. ت، ص185.

فيتولاه القضاء العارفين بشأنهم[1] على إزاحة الأتراك من المراكز الإدارية العسكرية ووحد السلطة، وغيّر نظام انتخاب الولاة وجعل عليهم عيون ترقبهم في تصرفاتهم مع الرعية، وجعل كلمة الحكم للوالي، كما قاد المحال[2] وعمره 20 سنة بكفاءة وجدارة، وبجانب ميل حمودة باشا بالجيش والحياة العسكرية كانت هناك أسباب أخرى مثل رغبته في الاستقرار الداخلي، فقد حرص على تحقيق الأمن والتخلص من التسلط الجزائري على تونس، كما كان تسديد الحرص على ضمان اختيار أفراد الجيش من ناحية القوة البدنية الأهلية[3].

توفي حمودة باشا في 15 سبتمبر 1814م[4]، بعد بلوغه 63 سنة قضى 33 سنة في الحكم، وقد اختلف المؤرخون والكتاب في تحديد سبب الوفاة فالبعض يذهب إلى أن سبب موته مرض القلب والبعض الأخر هو التسمم[5].

فيعتبر حمودة باشا أول باي يعتمد على موارده المحلية في عملية التجنيد، فبعد اعتماد تونس على الانكشارية فيما سبق، أخذ في تجنيد العرب[6] أراد بذلك قلب السياسة الداخلية في البلاد بتجنيد القبائل التونسية واعتمد على الأتراك والتونسيين قصد خلق توازن بينهما فزاد في حجم أسطوله[7]، وجند سكان المدن مما آثار جند الأتراك عليه، فقام ضباط الانكشارية بالانقلاب عليه لإسقاط الدولة الحسينية، لكن حمودة باشا بفضل سياسته التي

(1) توفيق دحماني، دراسة (عسكرية) في عهد الأمان القانون الأساسي السياسي العسكري للجزائر في العهد العثماني، ص151.

(2) رشاد الإمام ، المرجع السابق، ص113.

(3) نفسه، ص192.

(4) عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص315.

(5) رشاد الإمام ، المرجع السابق، ص73.

(6) محمود علي عامر، تاريخ المغرب العربي الحديث (الجزائر -تونس)، منشورات جامعة دمشق، سوريا، د ط، 1994، ص185.

(7) رشاد الإمام، المرجع السابق، ص114.

تقوم على ضرب الجند تمكن من صدهم[1] وكان هذا من أهم الانجازات الداخلية التي قام بها في العهد العثماني بتونس كما انتصر على الجيش الجزائري 1807، وإخماده ثورة الجند 1811م، فقد اهتم بعسكر زواوة وقبائل المخزن واستعملهم في حروبه، وقد ذكر ابن الضياف دور هذه الفئة « ركب الباي حمودة باشا الوزير يوسف صاحب الطابع إلى تونس بمحضر من عينة المخازنية وأمر جمع من تونس من المخ ازنية ووافقه فرسان المخازنية من الحاضرة والترك في شغل بنهب الجوانب»[2] ومن أهم معالم سياسته هو إنشاء المصانع الخزنة في تونس، صناعة البارود والمدافع وبناء السفن وبنى قلعة الكاف[3].

2-حروبه:

الحرب بين تونس والبندقية 1784م

بدأت الحرب بين تونس والبندقية 1784، وأخذت طابع ديني في نظر الأهالي[4] دامت 8 سنوات(1784-1792) [5] ذلك أن تونس اعترضت سفن حمودة باي وهاجمت أساطيل البندقية، فأرسلت البندقية حملة 1784م، فطافت بموانئ صفاقس وحلق الوادي[6] وسوسة[7] وألحقت أضرار بعدة موانئ منها بنزرت.

(1)رشاد الامام،المرجع السابق، ص114.

(2) ابن أبي الضّياف، المصدر السابق، ج3، ص55.

(3) نفسه، ص165.

(4) الحبيب تآمر، هذه تونس، مكتب المغرب العربي، تونس، د ط، د ت، ص23.

(5) رشاد الإمام، المرجع السابق، ص112.

(6) حلق الوادي: ميناء بتونس العاصمة: انظر محمد فريدريك المحامي، تاريخ الدولة العليا العثمانية، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص233.

(7) سوسة: مدينه تقع على ساحل محاطة بأسوار جيدة بها حصن يحيط به خندق بعث خير الدين برب روس لجيش عظيم، لغزو هذه المدينة، لأنها امتنعت عن الخضوع للمولى الحسن الحفصي، انظر: مار مول كار بخال، مصدر سابق، ص65-65.

حتى سكان مالتا فتحوا الجزيرة لتكون قاعدة للأساطيل البندقية واسبانيا توسطت النزاع لتقترب من الباي واستهدفت الحرب الدفاع عن مصانع البلاد التونسية وشاركت الأهالي خاصة سكان المدن في الحرب ضد البندقية من اجل مصالحهم التجارية الخارجية[1].

الحرب بين تونس وطرابلس الغرب:

في عام 1793م قدم أبو الحسن علي باشا أحمد القرمنبلي إلى تونس عندما استولى علي برغل على طرابلس والذي كان صرح بحقده الشديد بحمودة باشا لأنه كان يخشى تدخله في الشؤون الطرابلسية[2]، وعندما استقر علي برغل بالقوة بسبب الانتصار الذي أحرزه في طرابلس بدأ في تنفيذ مخططاته المعادية لتونس، إذ قام 1794 بحجزه لإحدى السفن التونسية المسلحة وبسبب العواصف التي كانت لجأ إلى ميناء طرابلس[3] هنا دعا جند الترك لتونس (المسلحة) بترك البلاد والالتحاق به للعمل تحت راية الدولة العثمانية واستجاب له العديد من جند حمودة باشا، وبعد احتلال علي برغل للبحرية ما كان على حمودة باشا أن يتخذ سياسة (جهوية) هجومية، وقرر الهجوم برًا وبحرًا لاسترجاع الجزيرة وغزو طرابلس ذاتها، ثم طرد وبينما (الأسطول) كان الأسطول التونسي يقلع اتجاه جربة، كانت تتحرك هناك أيضا حملة برية إلى طرابلس على رأسها احمد ويوسف القرمنلي بقيادة الوزير مصطفى خوجة[4] التي كان حمودة باشا عازما على قيادتها لكن اثنا عزمه يوسف صاحب الطابع، وبعد استرجاع جربة اخترقت القوات التونسية الحدود الطرابلسية وعسكرت على طول الطريق رؤساء القبائل الموالين للأسرة القرمنلية، وتم قصف العاصمة بالمدفعية، هنا فر علي برغل إلى مصر بعد أن ذبح كل الأسرى والرهائن، وفي سنة 1975م تمت بيعة يوسف القرمنلي على العرش

(1) رشاد الإمام، المرجع السابق، ص112.

(2)ابن أبي الّضياف، مصدر سابق، ج3، ص22.

(3) احمد الشريف الزّهار، مذكرات أحمد الشريف الزّهار، نقيب أشراف الجزائر ويليه محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1797)، تحقيق: احمد توفيق المدني، مج7، علم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين 2010م، ص83-84.

(4) رشاد الإمام، المرجع السابق، ص372.

واعترفوا به كبار ضباط الايالة فقدموا طلبا لدار الخلافة بواسطة حمودة باشا وأطلقت مدافع السرور[1].

مع تنصيب حمودة باشا على العرش التونسي 1782 قطعت أتاواة الزيت التي كانت تدفع للجزائر، كما خرجت محلة البايات الخمس لترهيب باي قسن طينة سنة 1783م وزاد على استقراره الحدود التونسية، وجاب جيش حمودة باشا البلاد التونسية لـ 4 أشهر لإثبات سيادته وتأكيد سلطته.

وعندما كانت تونس منشغلة في حربها ضد البندقية 1787م استغل باي قسن طينة الفرصة لتهديد حمودة باشا بالحرب، كما لوحظت حركات مريبة لجيشه على الحدود، فأتت الوساطة الاسبانية بطلب من تونسي لكي لا تقع المملكة التونسية بين شقي رحى[2].

استمال حمودة باشا باي قسن طينة الذي كان من احد أعداء تونس آنذاك خاصة بعد ضم منطقة الجزيرة لحوزته، وقد كانت لهذه الاستمالة نتائج كبيرة في قطع العلاقات رسميا بين الدولتين، حيث صدر قرار بإعدام مصطفى لنفي لير باي قسن طينة السابق الذي التجأ إلى تونس ووعد بإرجاع ملك قسن طينة السابق للمملكة التونسية، واستجاب له حمودة باشا بإبطال جميع الإجراءات الاستثنائية التي كانت في صالح الجزائر ومن طردهم، ورجع العلم التونسي فوق قشلة القصبة في تونس والكفاف والمناطق الحدودية التي تحرسها تشكلات من الجيش التونسي بعدما كانت ترفع منكوسة[3].

انتظر حمودة باشا أن يبادر ديات الجزائر بالأعمال العدوانية، فكان له ما أراد، فاخذوا قطعا حربية ضربت حصار على ميناء حلق الوادي ثم قصفه، وهنا أوفدت تونس جيشا

(1) احمد النائب ، الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفر جاني، طرابلس، الغرب، ليبيا، د ط، د ت، ص311-312.

(2) محمد صالح العنتري، تاريخ فسنطينه فريدة منسيه في حال دخول الترك بلد قسن طينه واستيلائهم على أوطانها، مراجعة: تحقيق: يحي بوعزيز عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، 2009م، ص63.

(3) نفسه، ص64.

قوامه 40 ألف مقاتل، وصل قسن طينة وضرب عليها حصارًا في جانفي 1807 م فوقعت الجريمة على باي قسن طينة، وهو من بناحية سطيف.

وبعد انكسار الجيش التونسي على مدخل قسن طينة وتقهقره بسبب خيانة قادته الذين التحقوا بالشرق الجزائري، إذ رفض الانكشاريون محاربة زملائهم في الجزائر، ليتم بعدها تجنيد الجيش التونسي من 460 عسكري إلى مقابل 30 ألف عسكري انكشاري جزائري، تقابل الجيشان في واد صراط 1807م وانهزم الجزائريون وبعد عدة مناوشات كانت بين الايالتين خلصت تونس من وصاية دايات الجزائر عليها، وقد تمددت بجهة الكاف ولم يحدث أي نزاع طيلة 23 سنة إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830م[1].

3-السلم بين الجزائر والايالة التونسية 1787-1800م.

استمر السلم بين الايالتين باستثناء خلاف 1805م وتعود أسباب السلم إلى غاية القرن 18 والتي تملت فيما يلي:

- انشغال حمودة باشا في إخماد الحرب مع ايطاليا 1792.
- ظهور مشاكل داخلية في الجزائر مثل ثورة الحنانشة 1801م[2].
- انشغال الجزائر بقصية وهران، حيث جندت كل القوى لتحريرها من الوجود الاسباني 1792م بقيادة محمد الكبير[3].

(1) نصر الدين سعيد وني، المرجع السابق، ص253.

(2) حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص188.

(3)محمد صالح العنتري، مجاعة قسن طينة، وثق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص33.

المبحث الثاني: العلاقات الاقتصادية بين الجزائر وتونس

يعتمد الاقتصادية بصفة عامة على جملة من العناصر الأساسية المتمثلة في الزراعة والصناعة والتجارة بنوعيها الداخلية والخارجية، وتقدم الدول يقف على مدى وفرة هذه العناصر وكذا قدرة الإنسان على تفعيلها لصالحه، فكلما توفرت هذه العناصر تحسن المستوى المعيشي للمجتمع.

وقبل أن نتطرق إلى الأنشطة الاقتصادية في الايالة التونسية، نشير إلى الظروف التي مرت بها الايالة والعوامل التي أثرت على القطاع الاقتصادي.

فقد عرفت الايالة، صراعات وحروب، أثرت بشكل سلبي على اقتصادها، إلا أن بعض البايات تمكنوا من التحكم في الوضع وتذليل الصعوبات التي كان يعاني منها الاقتصاد، وبالرغم من التطور والازدهار عرفته الايالة إلا أنه شهدت تقهقرا في المرحلة الأخيرة من حكم الحسينيين.

فقد ساهم الباي حسن بن علي مساهمة فعلية في تطوير البلاد خاصة بعد الدمار الذي عرفته الايالة في عهد المراديين، حيث عرفت فترة حكمه ازدهاًرا إذ كثرت في أيامه الخيرات وقد ذكر ابن الضياف في هذا الصدد ما يلي: تطوير البلاد إذ قال: «... سعدت المملكة وأصلهما بيمنه، وامتلأت أيديهم بالمكاسب، واتاوا ت الأرض وعمروها بالحبوب والأشجار، وخفف على الفلاحين من أثقال المغارم ، وأغرى على العمل وتنافسوا في الصناعات والخلال الحميدة والناس على دين أميرهم»[1].

وهكذا حرص هذا الباي على تشجيعه وتدعيمه لأفراد مجتمعه وحافظ على ثروة البلاد ونهى على الإسراف، حيث استطاع هذا الباي وضع قاعدة قوية لهذا الاقتصاد ومهد للرقي سبيلا[2]، لو لا تعرضه لتلك الحروب التي سبق ذكرها. ثم خلفه ابن أخيه علي باشا، الذي

(1) ابن أبي الضّياف، مصدر سابق، ج3، ص95.

(2) حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق ، ص149.

كان على الهمة تشديد على العمال ومن سياسة مصادرة الأموال، كما ساهم في تردي الريال التونسي إلى نصف قيمته وهذا ما أدى إلى تدهور الاقتصاد.

كما ساهم في نشر الخوف والرعب في المجتمع مما أدى بهم إلى الفرار إلى الجبال والاستقرار فيها[1] واستمرت البلاد على حالها إلى أن جاء أبناء حسن علي محمد الرشيد وأخيه علي اللذان تبعا سياسة والدهما في إصلاح البلاد، عملا على نشر الأمن والسلام في البلاد إلى أن توفي محمد باي 1759م[2]، ثم تولى أخوه علي باي أمور البلاد وتحكم فيها بقوة وتحسنت الأوضاع الاقتصادية في فترة حكمه، لكن بعدها تعرض لثورة إسماعيل بن يونس باي بن علي باشا، وبذلك وفاته، وخلفه ابنه حمودة باشا.

يعتبر عصر هذا الباي بمثابة العصر الذهبي لتونس، فقد تصدى لجميع الأسباب التي اعترضت سبيل التطور الاقتصادي وسعى إلى تحسين أحوال البلاد الاقتصادية وإنقاذها من التدهور، فعزز إمكانيات الدولة الاقتصادية، كما شهد عهده الكثير من الأوبئة والأمراض والمجاعات لكن رغم ذلك حاول النهوض باقتصاد البلاد، وقد أرجع ابن الضياف بسبب المجاعة سنة 1803م إلى «... احتباس الغيث وقوع القحط الشديد وتعسر الآتيان بالمئونة لوقوع الحروب خلال تلك الفترة...» [3] وعدم قدرة الباي على الذهاب والإياب، وقد عان التونسيون من الموت والجوع بسبب هذا القحط، الذي كان له انعكاسات مباشرة على الإنتاج الصناعي والزراعي وعلى مردود التجارة الخارجية، وهنا ما كان على الباي إلا أن يتخذ سياسة اقتصادية، من مظاهرها عدم إتلاف المال والبعد عن الإسراف، حتى أصبح بلقب بالشيخ حيث قال فيه صاحب الإتحاف « ... ومن أخباره أنه يكره الصرف في غير مصلحة معتبرة، حتى نسب إلى الشُّع ولا شك أنه من الأمانة، لأن ما في يده من المال هو في

(1) محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص85.

(2) السنوسي: محمد بن عثمان السنوسي، مسامرات الطريف بحسن التعريف، ط1، تحقيق وتعليق الشيخ محمد الشادلي النيفر، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1994، ج1، ص112.

(3) ابن أبي الضياف، مصدر سابق، ج3، ص160.

الحقيقة لمصالح العباد والبلاد....» [1]، كما ساهم هذا الباي في تشجيع زيادة الإنتاج وتحسينه على الرغم من الكوارث الطبيعية التي عرفتها ومرت بها الايالة ودعوته للعمل ونبذ البطالة وهنا يقول صاحب الإتحاف «... ومن أخباره أنه يقول في مجلسه علنا: لا ابغض أحدا من أهل بلادنا إلا البطال الذي لا نفع فيه للوطن، ولو يرعى البقر..» [2] كما شجع الصناعة وحث العمال والصناع على التطور، وساهم في تنشيط التجارة[3] وضع قاعدة متينة للاقتصاد التونسي، كما اهتم بالسعي الكثير في تدعيم ركن الاقتصاد بهذه البلاد بعد أن اضمحل، واعتاد الناس على سوء الأحوال فذهب بهم للعمل[4] كما تمكن من صدا الأخطار الأجنبية حتى من فرض شروطها على بلدان أوروبية مثل هولندا، وبوفاة هذا الباي انقلب الوضع وتدهور واستفحال المجاعة بسبب سنوات الجفاف المتتالية 1815-1818م، وتفشي الأمراض من طاعون وكوليرا خاصة طاعون 1818-1819م الذي قضى على قرى بأكملها[5] والذي خلق نتائج على تونس، من نقص في اليد العاملة وإهمال الأراضي الشاسعة وموت أعيان من أهل العلم ووصل عدد الموتى إلى أكثر من ألف[6] ومن أهم الإجراءات التي قام بها البايات الحسينيون والتي عادت بالفائدة على الاقتصاد التونسي، أنهم قاموا بتولية كل من الأنشطة التجارية والصناعية والفلاحية لأبناء البلاد مثل محمد المبزع، احمد العروسي...الخ.

(1) ابن أبي الضّياف، مصدر سابق، ج3، ص160.

(2) نفسه، ص102.

(3) الإمام رشاد، المرجع السابق، ص261.

(4) حفيظة بوتوقوماس، المرجع السابق، ص88.

(5) نانسي اليزابيت قلاقير، الاستعماريون والطاعون في تونس 1818-1918م، في المجلة التاريخية المغربية، العدد 33-34، رغوان، 1984، ص224.

(6)ابن أبي الضّياف، مصدر سابق، ج3، ص165.

فقد ساهم الاضطراب السياسي الذي عرفته البلاد في تعميق الأزمة الاقتصادية في تونس خاصة بعد وفاة حمودة باشا، إذ تعاقب على حكم البلاد أكثر من 3 بايات في ظرف 10 سنوات، الذين لم يسيطروا على أمور البلاد.

المطلب الأول: الزراعة

يعتمد الاقتصاد التونسي على الزراعة بالدرجة الأولى بسبب وفرة الأراضي الخصبة والمناخ الملائم الذي ساعد على تنوع المحاصيل الزراعية، وهنا نجد أن القطر التونسي ينقسم إلى ثلاثة أقسام وهي كما يلي:

- الجهة الشمالية: التي تكثر فيها الجبال والأكثر حصونه مثل سوسة.
- الجهة الوسطى من القطر، والجهة الشرقية من الجنوب قرب البحر: مثل الساحل والقيروان.
- الجهة الجنوبية: المعروفة بالجريز وهي غير صالحة للزراعة لان أراضيها رملية وقريبة من الصحراء الكبرى لا تصب بها الأمطار وإذ صبت تضر النخيل[1].

فتتصف تضاريس البلاد التونسية[2] بحزام من الأراضي المنبسطة، وهذا محاذي المنطقة الساحلية من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، محاطة بجبال علوها بين200-500م، كما تطل عليها جبال من الجهة الغربية للجزائر يصل علوها500م-1000م، بمنطقة الحمير في الشمال الغربي والى1012م بجبل الكاف وغربي واد ملاق، ومن الجهة الجنوبية يحدها جبل السيف وشعانبي وجبل سلوم ليصل ارتفاعه الى1200م، إضافة إلى جبل بوسلابية في شمال غربي قفصه، متقدمة على شكل قرن نحو الوطن القبلي، حتى جبل

(1) الحشايشي محمد بن عثمان، العادات والتقاليد التونسية الهدية أو الفوائد العلمية في العادات التونسية، ط1، دراسة وتحقيق الجيلالي بن الحاج، تقديم محمد اليعلاوي، دار سراس للنشر، تونس 1994، ص37.

(2) حفيظة بوتوقوماس، المرجع السابق، ص90.

زغوان، عبر جبال السرج وبرقو ومنصور مكونة بذلك ما يسمى بالظهر التونسي[1]، وتشق هذه التضاريس المتدرجة أودية تتقدم من جبل قيبو بالجزائر، يردفها وادي ملاق شمال الكاف، متجهة نحو جبال تبرسق، وهناك تلتقي مع مياه واد مليانة بين جبل الأربس وجبال السرج، ثم تتجه نحو الضاحية الشمالية للعاصمة، ومن جنوبي العاصمة[2] فقد عرفت تونس بمناخها المعتدل المتميز بشتاء لطيف وممطر وصيف حار في الجنوب، فالمناطق الممطرة تقع في الشمال في سلسلة الظهر، واكبر كمية من الأمطار توجد في منطقة الحمير، مع نزول الأمطار بكميات لباس بها في الساحل والقيروان[3]، فملكية الأراضي كانت تعد من العوامل المساهمة في التنمية الاقتصادية والإنتاجية الفلاحية، خاصة وهي متعلقة بنظاميها الملك والوقف، ففي النظام الأول الملك يتمتع بملكية الأراضي بإمكانه بيع وتأجير، وتحسبه لفائدة شخص معين أو مؤسسة مثل زاوية أو مسجد... الخ، أما النظام الثاني الوقف فهو ملك غير قابل للبيع لكنه قادر أن يكون محل الايجار[4] أما في الريف، فقد امتلكت عدة قبائل من الرحل مثل نغرة وشتاتة، أولاد يحي، أراضي جماعية تدعى العروش إضافة إلى قبائل أولاد بوسالم الموجودة في جهة الدخلة الخصبة، وهكذا نلاحظ أن الباي قد اتبع سياسة الإغراء لبعض المجموعات القبلية من اجل كسبها دون أي اضطرابات من جهتها[5].

عندما تولى حسن علي الحكم، شجع الفلاحة وساعد على الزراعة بتخفيف الضرائب، بغية تحسين وضع بلاده وتسهيل الوسائل التي اعتمدها عرب الأرياف لفلاحة أراضيهم[6].

(1) المختار باي، المرجع السابق، ص397.

(2) مصطفى القيلالي، تجارب إدماج البدو في تونس بالحياة الريفية، حوليات الجامعة التونسية، العدد 3، 1966، ص110.

(3)andri Rayond latunisie $2_{e\ me}$ edition prsses universitaires de fronce paris 1927 p6 .

(4) المختار باي، المرجع السابق، ص403.

(5) حفيظة بوتوغماس، المرجع السابق، ص93.

(6) المختار باي، المرجع السابق، ص407.

وتمثلت زراعة الأهالي في الحبوب من القمح الصلب والشعير الذي ينتشر في وادي مجردة وغربي مليان، كما يزرع أيضا في جهة الكاف، وقد كانت زراعة الحبوب، قمح وشعير، اقل كثافة كلما اتجهنا نحو الجنوب إذ تزرع في هذه الأراضي البقول والخضر من خيار، دلاع، بطيخ، بصل، ثوم وفلفل والبروكلو[1]، إضافة إلى الأشجار المثمرة مثل النخيل التين، الزيتون التي تنمو دون عناية وغيرها من الأشجار المثمرة والنباتات العطرة التي تستخرج منها العطر[2]، كما كان مكان الجبال يستغلون الغابات الموجودة في القطر نذكر منها: غابة طبرقة التي تستخرج من أشجارها الأخشاب التي تصنع منها السفن وأعواد السقوف من أشجارها نجد شجر الصفصاف، البلوط، البندق.. وغيرها من الأشجار[3] كما اهتم الفلاح التونسي بتربية الحيوانات من أبقار وماعز والدواجن التي كانت تمثل مصدر حيواني يباع في الأسواق كذلك الصوف الذي كان يصنع منه المنسوجات والزرابي، والجلود لصناعة الأحذية في تونس والقيروان[4] وبهذا ساهمت تربية الحيوانات في تكملة الإنتاج الزراعي[5] وبالرغم من كل هذه الخيرات التي يتمتع بها هذا القطر إلا أنها لم تجد الظروف المناسبة من اجل النمو والتكاثر، بقيت هذه الثروة بين الظهور والذبول في عهود البايات الحسينيين الأوائل، إلى أن جاء حمودة باشا وأولى اهتمامه للاقتصاد.

كما يعود سبب وفرة الإنتاج التونسي إلى كثرة الطلب الخارجي من استيراد الحبوب على مختلف أنواعها، ونظرا لما تدخله هذه المحاصيل من أرباح طائلة، فإن الدول الأوروبية كانت تتسابق على تونس من أجل تصديرها مثل فرنسا واسبانيا، كما اصدر قوانين لوضع حد للفوضى التي كانت سائدة في مجال الضرائب المرسومة على الزراعة، فقبل حكمه كانت

(1) محمد البيرم الخامس، صفوة الاعتبار بمستودع الأمطار والأقطار، القطر التونسي، ط2، تحقيق علي بن طاهر، المجتمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 1999، مج2، ص333-334.

(2) المختار باي، المرجع السابق، ص399.

(3) نفسه، ص399.

(4) حفيظة بوتوقوماس، المرجع السابق، ص95.

(5) بيرم الخامس، المصدر السابق، ص341.

ولاية العمال لا تتم بتعيين من الباي، كان العامل يعمل على دفع الرعية على الطاعة وخلاص أموال الجباية وكان العامل يستخلص من أصل عمله العشر من مدا خيل الزراعة، أما العمال استعملوا طرق أخرى لأخذ أموال الناس منها طريقة الضيفة[1] ولما جاء حمودة باشا غير هذا الترتيب الجبائي وطبق نظام جديد وهو تولية العمال على مشارطه مالية مثلما كان عليه الباب العالي على أن يكون وراء سيرة العمال في أعمالهم مراقبة من الدولة، وهنا أصبح للدولة مد خولا جديد يطلق عليه بالإنفاق الذي فاق ما كانت تجمعه الجباية[2].

ومن خلال كل هذا، نلاحظ أن حمودة باشا استطاع أن يضع قاعدة اقتصادية متينة، التي بها أصبحت تونس في مصف الدول ومنافسة للدول الأوروبية، لكن بعدها دخلت تونس في المديونية بسبب الأطماع الأوروبية وهذا ما سهل ومهد لاحتلالها.

بمجيء حمودة باشا وتوليه الحكم في تونس عمل على وضع قاعدة زراعية تستفيد منها البلاد والعباد الذين هجروا أراضيهم وبيوتهم ومن بين الطرق التي اتبعها لتحقيق زيادة الإنتاج على الرغم من الكوارث الطبيعية التي مرت بها ما يلي:

- حثه على العمل ونبذ البطالة: كان معروف بحبه للعمل، كما أنه لا يحب التصدق على الفقير القادر على الكسب بيده ويذكر ابن الضياف حول ذلك «..إن طلب الرزق بالأسباب الممتهنة لا يكسبه معزة ولا مذلة توازي مذلة السؤال...» [3] كما عمد إلى تحسين الإنتاج باستعمال بعض الطرق العلمية الحديثة حيث كان في تونس فرنسيون يقومون بتجارب لتحسين الإنتاج الزراعي التونسي، وكان منهم من يجري تجاربه على الخرفان لتغير من رائحة لحمها بسبب كثرة الشحوم، وقد حدث بعد سنة 1807م أن

(1) الضيفة: هي بمعنى الرضا وتعنى أنه يستخلص من أهل العمل مقدار من المال، يكثر ويقل بحسب العمل، حيث توزعه المشايخ على إخوتهم بحسب تفاوتهم الثروة: انظر ابن أبي الضياف، المصدر السابق، 1979، ج3، ص22.

(2) الجباية: هي مبلغ نقدي تتقاضاه الدولة من الأشخاص والمؤسسات بهدف تمويل نفقات الدولة انظر الراغب الاصفهاني مفردات الفاظ القران تحقيق صفوان بن عدنان الداودي دمشق دار القلم 1430ه ص 195

(3) ابن أبي الضّياف، المصدر السابق، ص 23.

الباي أمر بمنع ذبح البقر والخرفان والغنم في البلاد التونسية بعدما تم إهمال الزراعة في كامل البلاد إلا بعض الأراضي حول المدن[1] وتشجيع على ضمان أسعار رابحة للمزارعين، كما كان يشتري الحبوب من المزارعين بأسعار أعلى مما هي متداولة في السوق ليرجع وبيعها في الخارج فيما بعد، كما قام بمنع التجار الأجانب من بيع الحبوب من المزارعين التونسيين قبل استواء المحصول ذلك حتى يستطيع المزارع العمل بيسر بالنسبة لسنته الزراعية المقبلة كما سمح بتصدير المن توج الزراعي التونسي إلى أوروبا بصفة مباشرة، والسر في تنشيط هذه الزراعة هي إدارة حمودة باشا المنظمة وسياسته الواضحة في مصالحته للدول الخارجية والتي أوجدت الأسواق الخارجية.

المطلب الثاني : الصناعة

ارتبطت الصناعة في المجتمع التونسي في العهد العثماني بالإنتاج الزراعي الحيواني الذي كانت تستمد خاماتها الأولية منه، خاصة وأن الأسر التونسية كانت تبدع في الدمج بين هذين العنصرين الأساسيين من أجل إنشاء صناعة تفيدهم في الحياة اليومية، هذا في فترات الاستقرار والأمن، أما في الصراعات فإن هذه الأسر تهرب إلى المناطق المنعزلة سواء سكان المدن والأرياف وهذا ما كان يساهم في اضطراب الاقتصاد التونسي، والذي دفع بالبايات الحسينيين من بينهم حسن بن علي الذي سعى للإصلاح وتوفير الأمن للرعية، لكن الحروب التي تعرض لها جعلته يتخلى عن هذا المشروع الاقتصادي، لكن عندما آلت الأمور إلى أبناء حسن بن علي، بدأت تظهر بوادر العمل والدعوة إلى الاقتصاد والثعلب على الأعداء خاصة بعد بمجيء حمودة باشا الذي خلفه بعده والذي يعتبر عصره في العهد الحسيني بالعصر الذهبي ذلك بتشجيعه للاقتصاد التونسي والصناعات المحلية، والذي كان لا يتباهى إلا بعمل البلاد كنسيج سوسة والجرير وجربة حتى جعل الناس يلبسون مصنوعات تونس، وعمله على توفير المواد الأولية التي تحتاجها الصناعة التونسية في صناعتها، وكان

(1) الإمام رشاد، المرجع السابق، ص262.

يحقق هذا عن طريق المعاهدة التجارية مع الدول الأوروبية مثل استيراد الصوف من اسبانيا لصناعة الشاشية وحماية تلك الصناعات المحلية وإيجاد أسواق خارجية لها[1] ومن الصناعات التي راجت بنجاح نجد ما يلي:

صناعة الشاشية: كانت هذه الصناعة موجودة في تونس منذ العصور السابقة، وازدادت تطور في العهد الحسيني، هذا لما لقيته من تشجيع سنة 1724 م وزاد عدد الأهالي الذين يعملون بها، ولما تولى حمودة باشا الحكم أولاها عناية واهتمام كبير بتموينها وحمايتها، وقد بلغ اهتمام حمودة بهذه الصناعة جدا جعله يعقد معاهدة صلح مع اسبانيا لتأمين الصوف الممتاز لها[2]، كما انتشرت هذه الصناعة في بعض الدول المغربية منها الجزائر، إلا أنها كانت أقل جودة من مثيلاتها في تونس وهذا راجع إلى أن الحرفيين الجزائريين يستعملون الصوف المحلية، أما التونسيون كانوا يستعملون الصوف المستوردة من اسبانيا، وهذا ما جعل إنتاجهم يعرف رواجا في الأسواق الدولية[3] لكن بعدها تقهقرت هذه الصناعة في أواخر عهد حمودة باشا بسبب:

- الأوبئة التي ظهرت في البلاد وقتلت العديد من أعيانها.
- تأسيس فرنسا لمصنعين حدثين للشاشية، مما أدى إلى مزاحمة الصناعة التونسية وغزت معظم أسواقها.

- **صناعة النسيج**: ازدهرت هذه الصناعة في تونس، وتطورت صناعة الأقمشة، حيث كانت أغلب أحياء تونس تنتج منسوجات صوفية وكذلك المنسوجات الحريرية[4] ونشطت في مراكز عديدة في البلاد من أهم تلك المراكز جربة وهي المكان الذي يصنع فيه

(1) حفيظة بوتوغماس، المرجع السابق، ص100.

(2) أرزقي شوي تام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص322.

(3) أبو بكر عبد الكافي، الشاشية تاريخها وتقاليدها وتطورها، مجلة الفكر، العدد6، 1982، ص33-44.

(4) louis frank, histoir de tunis, précédée d'une description de cette régence, didat frères, imprimer rsdel l'instut de France, paris, 1851, p100.

المنسوجات الصوفية الفاخرة والشهيرة من أهمها البرانس الفرشيات، وقد ساهمت هذه الصناعة في زيادة الأرباح مما جعلها تتمتع بأرفع مستوى معيشي في إفريقيا، كما اشتهرت منطقة توزر بالمنسوجات الصوفية[1].

- **صناعة الحلي**: اختص بهذه الصناعة اليهود، سواء في العاصمة أو خارجها، منها الذهب، الفضة، الأقراط السروج والمجوهرات وغيرها من الصناعات التي تعود بالفائدة على البلاد[2].
- **صناعة العطور والحرير**: تنوعت الأشجار المزهرة في تونس التي كانت تستخرج منها أنواع العطور من ماء الورد، وماء الياسمين، وماء الزهر، وقد لقيت هذه العطور رواجا كبير في الخارج ذلك راجع لجودتها[3] أما صناعة الحرير كان لها رواج عظيم خارج القطر، خصوصا الجزائر المغرب الأقصى ومن هذه الصناعة: نسيج التفاريش الحريرية الملونة بأنواعها، مثل لباس أهل الحضرة والمدن، وصناعة الشدود وهي عمائم اليهود وأحزمة الرجال، والفوطة الحريرية بأنواعها مثل الأعجزة وهي خمار تحجب به النسوة وجهها[4]، بالإضافة إلى صناعات أخرى كانت منتشرة في القطر التونسي، ساهمت في رفع الإنتاج وزيادة المد خول إلى خزينة الدولة، واستمر الوضع الاقتصادي حتى بعد وفاة حمودة باشا.

(1) الإمام رشاد، المرجع السابق، ص273

(2) نفسه، ص276.

(3) الحشايشي، المصدر السابق، ص131.

(4)عثمان العكاك، العلاقات بين تونس وإيران عبر التاريخ، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1972، ص187.

المطلب الثالث: التجارة

1- المبادلات التجارية:

- كانت التجارة تنقسم إلى قسمين هما: التجارة الداخلية والخارجية.

1-1- التجارة الداخلية:

تمثلت العلاقات الاقتصادية بين الإيالتين في المبادلات التجارية التي تعمد في الأساس على التبادل بين الأفراد وبين الدول والتي تسمى علاقات تجارية (من استيراد وتصدير) وبحكم القرب الجغرافي الذي كان له دور في تنشيط حركة التبادل التجاري بين القطرين الجزائر وتونس، ودور تجار الايالتين من خلال حركة سير القوافل التجارية وجدت الكثير من السلع الجزائرية طريقهما إلى الأسواق التونسية وهنا سنتعرف على أهم السلع التي كانت تصدر من الجزائر إلى تونس:

-السلع المصدرة من الجزائر إلى تونس:

كان للانتصارات التي حققتها الجزائر في حروبها ضد تونس اثر بالغ في نفوس حكامها وأهاليها، خاصة بعد نجاحها في مهامها السياسية مما اكسبها قوة التأثير على مجريات الأحداث في البلاد، ضّف إلى ذلك أن تنصيب الحكام في تونس يدعم من الجزائر كما يتم وفق شروط اقتصادية كتقديم امتيازات تجارية لأرباب الايالة الجزائرية ومن يمثلهم في تونس خاصة في 1807 الوقت الذي كانت فيه تونس، تحت هيمنة الجزائر[1] وهذا ما يظهر أن حكام تونس كانوا رهينة لهذه الامتيازات الاقتصادية التي شكلت عبئا ثقيلا عليهم إلى غاية 1807 وهي السنة التي أعلى فيها حمودة باشا قطع تبعيته للجزائر بعد أن كانت الجزائر تتخبط في ظروف سياسية صعبة تمثلت في ثروتي ابن الأحرش والدرقاوي 1804 فقد عرف هذا الأخير بنزعته الاستقلالية ووقوفه في وجه الهيمنة الأوروبية وقطع العلاقات

(1) عمر بن خروف، علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدّايات، (1082-1246) 1671-1830، مجلة الدراسات التاريخية، مجلة دورية معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد العاشر، 1977، ص401.

مع البندقية، وأبرم مع اسبانيا معاهدة فرض فيها شروطه فيها عليهم[1]، كما وقف في وجه فرنسا ودافع عن مصالحه ومصالح رعاياه في النشاط البحري، ليصبح بعدها زعيم النشاط التجاري، وحتى يقوي نشاطه التجاري عمل على إشراك رجال دولته كيوسف الطابع وكبار القياد ذلك بعثه إيجار منهم المعونة في تحقيق الأمن والاستقلال للبلاد[2] والتخلص من التبعية الجزائرية، لما مسهم من ضرر في المجال الاقتصادي وتعطل تجارتهم، وهنا يذكر ابن الضياف قائلا: « ولما أحسن من قوته القدرة على دفع الضيم، صار يتغلل على أهل الجزائر، وأخذ في إزالة ما اعتادوه من التعري، الذي منه أن صاحب الجزائر، أو قسن طينة يشتري الأنعام وبيعها إلى البيع بتونس بثمن يلوح بالإشارة إليه، فيعطل أهل البلاد عن بيع أنعامهم حتى يباع ما أتى من الجزائر أو قسن طينة والذي يموت من تلك الأنعام في الطريق تدعى رعايته أنه سرق منهم في ارض تونس، فيزداد عن التحسن المطلوب[3].

وقد ذكر ابن الضياف أنه لما وفد باي قسن طينة الحاج مصطفى انجليز طريد بعد عزله من منصبه مع ابنه علي قام حمودة باشا بقبوله ومنحه بستانا ووعده بإعادته لبلاده، وهذا ما أثار غضب داي الجزائر وأرسل عدد من البقر يطلب بيعه في تونس، فاشتد غضب حمودة باشا واستشار أهل بلدته فأشار عليه وزيره أبو عبد الله بن الاصرم[4] بعدم الدخول في حرب خوفا من الأضرار التي ستلحق بالبلاد أما يوسف صاحب الطابع اقترح إعلان الحرب كما جاء في قوله « عظم الأمر واتسع الحرق والمساعدة هي التي أوصلتنا إلى هذه الدرجة من المعرة, فان سيدنا حمودة سمسار لصاحب الجزائر وليته وقف عند السمسرة بل هو محكوم عليه بأداء مال معين ودفعه بعلم رعيته كدفعة من خزانته» لتقوم بعدها الحرب

(1) صالح عباد، المرجع السابق، ص208.

(2) الهادي الشريف، تاريخ تونس، د ط، مؤسسة سراس للنشر، تونس، 1980، ص89-90.

(3) أحمد ابن الضّياف، المصدر السابق، ج3، ص40.

(4) أحمد الأصرم: أصله من القيروان، ونسب بينهم من قبائل الفتح اليمنية، ترأس قلم الإنشاء وألقاب الوزارة: ينظر ابن أبي الّضياف، المصدر السابق، ج7، 1999، ص51.

ويأمر باي تونس أهل الجزائر بالرجوع لوطنهم واستمر التواصل الاقتصادي بين الايالتين إلى سنوات لاحقة من هذا الحدث لكن ليس بنفس الحدة التي كانت عليها علاقتها سابقا[1]، أثناء الرحلة[2].

كما تحرص القافلة على اختيار الجمال المناسبة التي تسير في القافلة بعناية وسلام، بالإضافة إلى تزويد القافلة بموارد مادية ومواد غذائية تغطي حاجيات القافلة طيلة السفر من لحم وسكر وشاي...الخ، بعدها تنطلق القافلة وهي مكونة من 3 آلاف جمل وهي محملة بشتى أنواع البضائع والسلع وتبدأ مسيرتها في فصل الشتاء كما توجد قوافل أخرى تنطلق صيفا، وقد يتعرض القوافل أثناء سيرها قطاع طرق ولصوص، وتعتبر الإغارة والسلب جزء من الحياة الاقتصادية في البدو إذ يشنون غاراتهم على القبائل البعيدة عن مناطقهم، إضافة إلى تعرض بعض القوافل لتيه في الصحراء نظرا لشساعتها والزوابع الرملية التي تغطي القوافل[3] كما تجبر على دفع ضرائب المرور.

لهذا كان من الضروري تنظيم شرطة صحراوية على طول طريق القافلة لمراقبة البدو الرحل وتتفكل بإبلاغ تحركات العصابات البدوية حتى تتخذ حيطتها ويتسنى لها الدفاع عن نفسها[4] وقد كانت القوافل بين قسن طينة وتونس تنطلق من مراكز أساسية وتعود إليها منها إقليم الشرق الجزائري قسن طينة والوادي تقرت، ورقلة وكانت هذه المراكز على درجة عالية من التنظيم تحمل هذه القوافل صادرات لتونس تتمثل في التمور المجنية من الوادي التي تتوفر على كمية هائلة من النخيل والتبغ والمنتوجات الصوفية من برانس وجبب صوفية التي كان لها سوق رائج في تونس مارس هذه الحرف النساء الجزائريات من اجل إعانة

(1) أحمد ابن الضّياف، المصدر السابق، ، ج3، ص40.

(2) عمر بن خروف: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين الجزائر والمغرب من القرن العاشر هجري إلى السادس عشر ميلادي، د ط، دار الأمل للنشر والتوزيع، 2008، ج2، ص88.

(3) أحميدة عمي راوي، علاقات با يلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد الثماني وبدايات الاحتلال الفرنسي، د ط، دار البعث، الجزائر، د س ن، ص12-15.

(4) محمد العربي الزبيري، المرجع السابق ,ص152.

أزواجهن[1] إضافة إلى الجلود المدبوغة الشواشي الجزائرية التي كانت تعتبر من أرخص المواشي سعر ذات الجودة العالية في تونس[2] والذهب والحديد والسمن والجوز.

الطرق والمحطات التجارية:

كانت تونس هي أقرب الأسواق الخارجية التي الجزائر لذلك كان تجار قسن طينة يفضلون التوجه إليها لممارسة تجارتهم، وللقيام بهذه العملية كانت هناك طرق[3] تنطلق منها القوافل التجارية والعودة إليها، منها قسن طينة، ورقلة، توقر ت، الوادي وكانت هذه الأسواق منظمة تنظيما دقيقا منها أربعة كانت تتبعها نذكر منها:

- **طريق تونس:** والذي يبدأ من طريق قسن طينة ويسير نحو الجنوب ليمر بالحروب، تم يرتفع نحو الشمال الشرقي أين تتواجد عدة قرى، تمر منها القافلة التجارية منها: قرية واد الزناتي وسق أهراس ثم تصل إلى مدينة الكاف ومنه إلى مدينة تونس، كانت قسن طينة مقاطعة غنية تنتج الشموع والعسل الصوف الزيوت فقد كانت تكتسب قسن طينة أهمية تجارية تنطلق منها القوافل التجارية منها قافلة تتكون من حوالي 300 بغل إلى تونس[4].

(1) محمد صالح حوتية، توات ولازداد، د ط، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص142.

(2) محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص153.

(3) الملحق رقم 5: خريطة لأهم الطرق الرابطة بين الشرق الجزائري و الأسواق التونسية، ص95.

(4) محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص156-157.

- **طريق قفصه[1] ونفطه[2]:** الذي بدأ من مدينة الوادي، عرفت بأكبر سوق يتوافد إليها التجار، كانوا يحملون الأقمشة التمور والتبغ إلى تونس، ويستوردون منها المصنوعات المحلية والأوروبية أهمها المواد العطرية والأسلحة[3].
- **طريق نفطه وغدامس:** ينطلق من توقرت إلى الجنوب التونسي يحملون بعض المنتوجات المصنوعة يجلبون الأقمشة القطنية والعطرية المستوردة من أوروبا وتوزع على الأسواق المحلية.
- **طريق غدا مس الذي تخرج من ورقلة:** يتجه مباشرة إلى الشرق إلى أن يصل إلى غدامس وتلتقي معظم القوافل تونس، طرابلس السودان، الجزائر ويتبادلون السلع وتعود لمنطقتها، وقد كانت هذه القوافل تخرج من ورقلة محملة بالأقمشة والحبوب والأسلحة وتستبدلها بالنعام والعاج من المنتوجات الإفريقية[4].

الاسواق التجارية:

- **سوق قسنطينة**: من أكبر الأسواق في المنطقة، يأتي إليها التجار من كل النواحي ومعظمهم منتجات ضرورية، تحملون مصنوعاتهم لبيعها تصديرها إلى بلدان الخارج لعبت دورا أساسيا في تنشيط التبادل التجاري خاصة سنة 1791-1792م وتحولت المدينة بذلك إلى ملتقى القوافل التجارية القائمة من مختلف النواحي سواء من تونس طرابلس لمغرب الأقصى بسكرة الجزائر[5].

(1) نفطه: عاصمة بلاد الجريد تشتمل على المدن التلية توزع على الوديان والحامية، رحل سكانها من التجار الفلاحين: ينظر: محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص154.

(2) قفصه: تقع في الجنوب التونسي وهي من أهم المراكز التجارية، ينظر: محمد العربي الزبيري، نفسه، ص154.

(3) خصام صورية العلاقات بين ايلتي الجزائر وتونس القرن 18، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، عبد المجيد بن نعيمة، جامعة وهران، الجزائر ، 2012-2013، ص151-152.

(4) محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص157.

(5) محمد صالح العنتري، المرجع السابق، ص150.

- **وادي سوف:** من أكبر الأسواق التجارية بعد قسن طينة، كانت قبلة التجار من مختلف الجهات اشتهرت بصناعة المظلات من سعف النخيل والأقمشة الصوفية[1].
- **ورقلة:** البداية الشرقية لواحات الجزائر اكتسبت شهرتها انطلاقا من نشاطها التجاري الكبير، فهي ملتقى التجار وعقد المواصلات ومحطة للقافل التي تغير الصحراء وتربط أقاليم المغرب بوادي النيل والمشرق وجهات التل بالأقطار تونس[2].
- **توقرت:** هي ثالث الأسواق الهامة بعد كل من ورقلة والوادي، توفرت على شبكة هامة من المواصلات والطرق التي لعبت دورا في تنشيط التبادل التجاري الاقتصادي بما فيها وادي ريغ[3]، الذي ينتج التمور الأقمشة الصوفية وقد كانت هذه القوافل التجارية تسير بنسق يومي بين توقرت والجنوب التونسي،[4] مما يدل على أن هناك مدن أخرى كان لهما صلة تجارية بتونس مثل تميمون[5] وجيجل وعنابة ويذكر "سبنسر" « أن عنابة كان لهما وطن سهلي يحتل المقام الأول من الاتساع والجود، وهو يمد هي بكمية كبيرة من الذرة التي تحمل لهما فتتغذي الأبقار وما إليها الغنم وبهذا تتزود بالحليب والزبدة ولكن مدينة تونس وجوبة»[6] ومن هنا نستنتج أن العلاقات الاقتصادية التي ربطت بين الإياليتن هي امتداد للعلاقات السياسية التي أضرت بالاقتصادية التونسي، أما فيما يتعلق بالصلات التجارية فقد وجدت تعاملات بحرية بين المدن الساحلية الجزائرية

(1) محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص155.

(2) ناصر الدين سعيد وني، ورقات جزائرية،...، ص 46.

(3) واد ريغ: يقع غربي واد سوف على بعد 95 كلم، ويشمل من الشمال إلى الجنوب على مدن وقرى وواحات كمغير-مقار، ينظر أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر، ص 142.

(4) محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 156-157.

(5) تيميمون: مدينة تتكون منه 500-600 مسكن تتخللها بساتين وهي محاطة بخندق دون ماء يقدر عمقه بـ 12م وعرضه 7م وسور تحتضنها، ينظر: عثمان حسانّي: البنية الاجتماعية الاقتصادية في الصحراء من خلال تقارير الأجانب في القرنين 18 و 19م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف يوسف تلمساني، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص 51.

(6) وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 50.

والمدن الساحلية في تونس والمغرب والتي كان التجار من خلالهما يبيعون السلع المختلفة يشترونها.

2-التجارة الخارجية:

مارس المجتمع التونسي في هذه الفترة نشاط تجاري واسع حتى أصبح من أهم الدعائم الرئيسية للاقتصاد التونسي، هذا راجع للأمن الذي ساد البلاد. هذا بفضل جهود البايات المبذولة وإدراكهم لأهمية ترويج هذه المنتجات والمصنوعات إلى الخارج، فكانت القوافل التجارية تربط بين مختلف البلدان المجاورة أو الخارجية[1]، فقد عرفت تونس تنوع في الإنتاج الزراعي، الحيواني، والصناعي أدى بها إلى ازدهار النشاط التجاري، فأصبحت المدن التونسية مراكز تجارية هامة يأتي إليها الأهالي من مختلف الجهات والبلدان لشراء حاجياتهم الضرورية، وكذا تصدير منتجاتهم، وهذا ما خلق الترابط بين المدن والأرياف[2]، والبلدان المجاورة لها خاصة بعد انتشار العديد من الأسواق في تونس منها السوق العطارين والبركة والقراتة والترك التي كانت موجودة في العصر الحقيقي، وتستمر خلال الفترة الحسينية بظهور أسواق جديدة مثل: سوق الباي، سوق المواشي، إضافة إلى أسواق أخرى ساهمت في ترويج الصناعة والفلاحة التونسية، لقد كان للنشاط التجاري الذي ربط تونس بالجزائر درجة كبيرة من النشاط والفاعلية أدى إلى منافسة العملة التونسية للعملة المتداولة في الجزائر، فقد سيطر الريال التونسي على التعامل النقدي في قسن طينة بعد أن ارتفعت قيمته في عهد حسن باي[3] وخليفته مصطفى باي بزيادة وزنه وارتفاع قدرته الشرائية بمقدار 85 % بعد ما كانت

(1) احمد قاسم: العثمانية على ضوء فتاوي ابن عظوم، في المجلة التاريخية المغربية، العدد 33- 34، مطبعة الاتحاد العام التونسي، تونس، 31 جويلية 1979، ص 162.

(2) الإمام رشاد: المرجع السابق، ص277.

(3) حسن باي: هو محمود بن محمد بن الرشيد باي الحسيني، تولى الحكم في الفترة الممتدة بين1824-1835، ينظر: حمادي الساحلي، فصول في التاريخ والحضارة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص90.

60 %[1] ومن أهم المنتوجات التي سوقت للجزائر من تونس نجد المواد العطرية، والأسلحة والأقمشة الحريرية، الكبريت[2] من الخيوط الذهبية مستلزمات الأعراس الزرابي[3] والجلود المدبوغة.

1-1سياسة حمودة باشا التجارية:

تؤكد المصادر والدراسات أنه منذ تولي حمودة باشا الحكم في تونس 1882- 1814 تحسنت الأوضاع داخل البلاد، بما في ذلك الأحوال الخارجية لتونس في كلا الميادين والعلاقات التونسية الأوروبية والجزائرية التونسية خاصة التجارية[4].

واهم ما تميزت به السياسة التجارية ما يلي:

- فتح مجال تصدير للحبوب+ القمح إلى أوروبا.

- إيجاد وتأمين أسواق واسعة للإنتاج ألفلاحي التونسي بالقارة الأوروبية.

- تجنبه للخلافات والتكتلات الحربية التي كانت بين الدول وإعطائها رخص بتصدير المنتجات التونسية إلى جميع الدول الأوروبية مثل: جنوه، مالي، أما فيما يخص علاقاته مع الدول الغربية نأخذ فرنسا، الولايات المتحد الأمريكية، بريطانيا، اسبانيا[5].

- فرنسا:

تساهل حمود باشا مع فرنسا في منحهم بعض الامتيازات الاقتصادية كعقده اتفاق مع شركة الاصراف الإفريقية، حتى احتكار الاصراف من طبرق إلى طرابلس وإنشاء المخازن

(1) أحمد عميراوي، المرجع السابق، ص 34-35.

(2) محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص153.

(3) احمد بن الطاهر منتوري: المرجع السابق، ص53.

(4) عميراوي حميدة، المرجع السابق، ص43.

(5) رشاد الإمام، المرجع السابق، ص74.

مقابل عائد سنوية[1]، كما أبرم سنة 8 أكتوبر 1782م معاهدة مع الشركة الملكية الإفريقية لتحديد امتياز صيد المرجان في المياه التونسية وهذا تنفيذا للحقوق سبق أن منحها أبوه لفرنسا[2] وبعد مرور 6 سنوات من تولي حمودة باشا الحكم زاد التبادل التجاري سنهم إذ يمثل الجدول التالي حجم التجارة التونسية الفرنسية مقارنة بتجارة تونس مع الدول الأخرى.

واردات من مرسيليا إلى تونس	صادرات من تونس إلى مرسيليا	واردات من البلدان الأجنبية الأخرى	صادرات من تونس إلى بلدان أجنبية أخرى
5.239.649 ليرة	4.629.602 ليرة	2099.750 ليرة	3.095.665 ليرة

لكن بعد أن توفي لويس 16[3] وإعلان الجمهورية بفرنسا تردى الوضع التجاري في فرنسا وفي عام 1798م ساءت العلاقات بين تونس وفرنسا ذلك بأمر من السلطان العثماني تقطع العلاقات مع فرنسا وهنا استدعى حمودة باشا القنصل الفرنسي وطلب منه أخبار الفرنسيين بعدم لقائهم في المدينة وعدم الاختلاط مع الأتراك في الأماكن العامةوفي عام 1799 استدعى الباي قنصل فرنسا وأعلمه إعلان الحرب مع فرنسا، هنا كان موقف حمودة باشا ازدواجي لا يريد قطع العلاقات مع فرنسا ولا يريد الحفاظ عليها، نتيجة لذلك نقل حمودة باشا مع فرنسا الحرب وغبر عن ذلك أنه مجبر وهذا ما يؤكد أنه كان على صداقة مع فرنسا، وفي سنه 1800[4] تم عقد هدنة مع فرنسا لكنها لم تدم طويلا بسبب تدخل سفير انجلترا، وتقربه من السلطان العثماني بان لا يحتفظ بسكان البلاد البربرية، 1801 ، وفي عام 1811 أعلن قنصل فرنسا بتونس توقف العلاقات التجارية.

(1) صلاح العقاد، المغرب العربي الحديث والمعاصر، الجزائر، تونس، المغرب الأقصى، ص49.

(2) مليكه الشيخ، المرجع السابق, ص91.

(3) لويس 16- ملك فرنسا 1747-1972 حفيذ الملك لويس 15 شهد في عهده الثورة الفرنسية، خلع عن العرش 1792-1793. انظر: منير البعلكي معجم أعلام المورد، ص395.

(4) مليكة الشيخ، المرجع السابق، ص93.

-التجارة مع اسبانيا:

بالنسبة لاسبانيا استمر الوضع التجاري كما كان من قبل عهد حمودة باشا لكن في عهد حمودا باشا تم توسيع مجالات بلاده التجارية مع الدول الأوروبية بداية من 1790م فقد حققت سياسته رغبات اسبانيا، وقد بلغت تجارة تونس خاصة الصوف مع اسبانيا فزاد حجم التجارة بين البلدين وتنوعت السلع المتبادلة من الصوف والشواشي.

وفي نفس السنة عقدت معاهدة مع اسبانيا بعد 03 سنوات 1791م وقبل الأسبان في هذه ألمعاهده بمعظم مطالب حمودة باشا وعّين بمقتضى هذه المعاهد قنصلا لاسبانيا[1].

-التجارة مع الولايات المتحدة الأمريكية:

تم عقد معاهدة مع أمريكا 1797م، وعّين قنصلا على أمريكا بمقتضاها وشملت المعاهدة على ما يلي:

- الاتفاق على تشجيع التبادل التجاري بين البلدين، وبعد عقد المعاهدة زاد حجم التجارة المتبادلة مع الولايات المتحدة الأمريكية، لكن هذا الوضع أزعج فرنسا وانجلترا، وفي سنة 1810م قدرت البضائع الأمريكية المعروضة للبيع بتونس ما يقارب 500.000ريال، إضافة إلى السفن الأمريكية في الموانئ التونسية والعاملة في الخطوط الكبرى للتجارة مع الولايات المتحدة الأمريكية مع الخارج[2].

1-2 طبيعة الصادرات والواردات في تونس:

تنوعت المواد المصدرة والواردة من الولايات المتحدة الأمريكية إلى تونس للقرن 17م حيث نجد:

(1) رشاد الإمام، المرجع السابق، ص77-78.

(2) ياسين صنديد، الأسرة الحسينية ودورها في العلاقات السياسية الاقتصادية بين تونس وفرنسا (1705م-1782م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير (تخصص تاريخ الحديث والمعاصر، إشراف إبراهيم سيعيدون، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية (قسم التاريخ، جامعة غرداية، الجزائر، 2012-2013م، ص140.

✓ **الصادرات:**

- **القمح:** يمثل المادة الأساسية في صادرات تونس مصدره منطقة باجا وسفوح جبال الرأس الأسود ثمنه غير مستقر حيث تتحكم فيه الوفرة أو الندرة أو الوضع الاجتماعي أو الاقتصادي للبلاد.
- **الزيت:** تعبر منطقة سوسة أهم منتج له، شحن الزيت في أواني فخارية في دول المشرق، وفي براميل للدول الأوروبية.
- **الجلود:** يتحكم في تصديرها اليهود لتونس وبيعه للتجار الأوربيين وأحيانا يتوقف إنتاج الجلود بسبب توجه عماله إلى حمل السلاح في حالة الحرب.
- **الشاشية:** عرفت شهره كبيرة في العالم الإسلامي وهي أغلى من شاشية مارسيليا وتعتمد على مادة الصوف التي تستورد من اسبانيا.
- **الصوف:** تحتكر تجارته الطبقة الحاكمة ويتم تصديره إلى مارسيليا.

✓ **الواردات:**

- **القماش الصوفي:** يستورد هذا النوع من القماش من انجلترا وهولندا.
- **الصوف الاسباني:** يستعمل خصيصا لصناعة الشاشية لعبت اليهود دورا كبيرا في جلبها كما ساهمت مرسيليا في عملية النقل ومع تجارة الصوف انتعشت تجارة الأصبغة.
- **الورق:** يستورد من ليفورنا نوعية خاصة في لف الشاشية.

إضافة إلى هذه المواد فإن تونس تستورد عدة مواد أخرى كالحرير والتبغ والخشب والعقاقير[1].

(1) كمال مايدي، علاقات تونس مع الدول غرب أوروبا الغربية المتوسطية وتأثير البحرية في عهد حمودة باشا 1782م-1814م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ الحديث، إشراف عمار بن خروف، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، المركز الجامعي بغرداية، الجزائر، 2011-2012م، ص96.

والأمر الملفت آنذاك هو حضر تصدير مواد إستراتيجية كالأسلحة وقد حصلت تونس على هذه المواد بشكل هدايا من دول شمال أوروبا وكان الظرف آنذاك هو حربه مع البندقية، كما طلب نفس الهدية من الجالية الفرنسي التي أهدته 10 آلاف قلة من عيارات مختلفة[1].

- **الواردات:**

✓ **العملات المحلية:** وهي ثلاثة أنواع ذهبيه، فضية، ونحاسية.

- **النقود الذهبية:** وتعرف العملة الذهبية بتونس بالسلطاني أو سوكان البربري وسكان المحبوب.
- **النقود الفضية:** تمثلت في الريال بقي استعمال الريال الاسباني طيلة القرن 17م والعقود الأولى من القرن 18م، والريال الناصري أو الريال التونسي يستخدم في العملات اليومية.
- **النقود النحاسية:** تتمثل في الفلس وسماها التجار الأوروبيين بورب "BOURBE" بالنسبة للفلس وبوبين "BOURBINE".
- **العملات الأجنبية:** الريال الاسباني وهو العملة الأكثر تصنيفا وكان المطلوب لدى التونسيين في عمليات الدفع، إضافة إلى عملة سوكانا البندقي[2].

(1) ياسين صنديد، المرجع السابق، ص140.

(2)نفسه، ص96.

الفصل الثالث

العلاقات الاجتماعية والثقافية بين

الايالتين(1705-1835م)

المبحث الأول: العلاقات الاجتماعية بين ايالة الجزائر وتونس

تعتبر الروابط الاجتماعية من أهم الروابط في العلاقات بين الدول وصورة تعكس مدى الاحتكاك والتعامل الكبير بينهما إضافة إلى القرب الجغرافي الذي أدى إلى ضرورة إقامة علاقات متعددة بين الجزائر وتونس من أهم النقاط التي وقفت عليها هذه العلاقة نذكر:

المطلب الأول: تأثير القبائل وعلاقتهم بالايالتين:

لقد لعبت القبائل الحدودية بين الاياتين دورا كبيرا في بناء هذه العلاقات وكانت محورا أساسيا في تحديد طبيعتها وأهم هذه القبائل كانت قبيلة الحنانشة[1]، التي كانت تحضى بحصة الأسد من هذه العلاقات فهي تعتبر من اكبر القبائل التي شكلت ضغطا كبيرا ومستمرا على السلطة في كل من تونس والجزائر ففي تونس بدأت تأثيرها منذ العهد المرادي، حيث ساندت أحد طرفي النزاع حين وقفت إلى جانب محمد باي الذي استمال إلى صفه الحاج المراد سي شيخ قبيلة الحنانشة فرع أولاد نصر ضد عمه محمد الحفصي كما شاركت في الصراع السلطوي بين محمد باي[2] وشقيقه علي باشا وقد لجأ هذا الأخير إلى الجزائر وقام بمصاهرة احد فرعي قبيلة الحنانشة هناك بحثاً منه عن المساندة وقد تمكن بفضل

(1) الحنانشة: تتكون من ثلاث فروع رئيسية هي الشاوية وعرب بنو هلال وبني سليم أما بقية الفروع سميت على اسمهم إما بالحلف أو الموطن وتمتد من تبسه إلى سوق أهراس ثم إلى عنابه ومنها إلى قلعة سان وجبال سيد إلى جنوب وادي مجردة إلى جبل قلالة ودقمة وسلسلة الكاف مسخوط إلى الزعرورية وجبل تليس لها مساحه شاسعة تمتد بين حدود البلدين وقد أقرت الاتفاقية التي أبرمتها الايالتين عام 1628م ان ما كان من غربي وادي الصراط فهو لعمالة الجزائر وعليه فان هذه القبيلة هي جزائريه الموقع: ينظر: العربي الحناشي: الحنانشة وعلاقتهم بالسلطة في تونس 1640- 1740، مذكره لنيل شهادة الكفاءة في البحث، إشراف محمد الهادي الشريف، جامعه تونس الأولى، س ج، 1987-1988م، ص11.

(2)محمد باي: هو الحاكم الرابع للبيت المرادي حكم خلفا لولده مراد باي سنة 1675م، ودخل في صراع على السلطة مع عمه محمد الحفصي ومن ثم مع أخيه علي باي الذي استولى على الحكم عنه 1677م، إلى غاية 1686م، ثم عاد محمد باي للحكم في الفترة الممتدة بين 1688- 1699، وكان كاهيته وصهره من أخته يقاسمانه الحكم ، وهذا الأخير المعروف بابن الشكر ثار على محمد باي وتمكن بفضل مساندة القوات الجزائرية من الجلوس على كرسي الحكم سنه 1695: ينظر ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج2، ص60.

دهائه[1] وحسن تصرفه من الانتصار والجلوس على كرسي الحكم بعد دعم هاته القبيلة له، وكذا السلطات الجزائرية عام 1677م[2].

أما في العهد الحسيني فقد تعكرت العلاقات بين قبيلة الحنانشة والسلطة التونسية وذلك تزامنا مع حكم البيع حسين بن علي (1705م-1735م) حيث طلب المصاهرة من الشيخ بوعزيز زعيم الحنانشة والذي رفض هذه الدعوة وانتقاما لذلك قام الباي التونسي بتحريض حسان باي حاكم قسنطينة على بوعزيز وقام حاكم قسن طينة، بعزله وجعل آخاه قائدًا للقبيلة خلفًا للشيخ بوعزيز الذي فر إلى الصحراء وكذلك دعم الحنانشة للحرب الباشية، الحسينية (1735م-1740م)، بين حسين بن علي باي وابن أخيه علي باشا[3].

كذلك نجد أن العلاقات بين الايالتين تجسدت بفضل الترابط والتحالف الذي حدث بين قبائل الحدود كتحالف قبيلة الدوايدية التونسية مع القبائل الصحراوية بتقرت- من أجل تقديم المساعدة لعلي باشا التونسي الذي ثار ضد عمه حسين بن علي وبعد وصول علي باشا إلى الأراضي الجزائرية قامت قبائل أولاد مقران والمجانة المستقرة في سور الغزلان سنة (1729م) بتقديم يد المساعدة له[4].

المطلب الثاني: مظاهر الترابط الاجتماعي بين الايالتين

1- المصاهرة :

(1): العربي الحناشي: الحنانشة وعلاقتهم بالسلطة في تونس 1640- 1740، مذكره لنيل شهادة الكفاءة في البحث، ص11.

(2) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج2، ص ص، 63-65.

(3)e.renst mercir, histoir de constantine, j-marle et. F. biron, imprimeurs-editeurs, 1903, p250.

(4)ibid, p 249.

بالرغم الاحتكاك الاجتماعي الذي كان ولا يزال بين الايالتين وذلك بفضل التقارب الجغرافي إلا أن هناك صورا أخرى لهذا التقارب والتي يمكن أن نقول عنها أنها اقوي صور الترابط والتلاحم متانة ألا وهي رابطة الدم خاصة لدى سكان الحدود وتمثلت هاته الظاهرة فيما يعرف بالمصاهرة وبفضلها ظهرت تسميات تشير لها، كقول مصطلح أولاد وهو ما يقصد به وطن هذه الأسرة التي انتشرت بين البلدين ويقصد بأولاد أي الأسر والعائلات التي تعود أصولها إلى الاتحاد الحاصل بين سكان المنطقتين بفعل المصاهرة مثل أولاد جديدي: جرهم محمد ألجديدي الحفصي القيرواني السالمي صاحب زاوية شهيرة بالقيروان وانتسب لأولاد يوسف بعد زواجه من امرأة منهم.

وكذلك أولاد حدادة: ويسمون أيضا بأولاد عبيدي لان جدهم أصله من سيدي عبيد الساكنين حوالي نفطه وانتسب للسوفية بعد زواجه بابنة سيدي مسطور.

أما الاميهات: فينتسبون إلى مكان كان يعرفه بأمية قرب نفوسة بقابس وجدهم الاميهي أتى إلى واد سوف ولهم خمسة فصائل أصلية وخمسة منها ملحقات[1].

وأيضًا نذكر العوامرة: من عميرة بوجديد ينحدر نسبهم من السيدة فاطمة الزهراء إبنة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم[2].

ولم تقتصر هاته الظاهرة على قبائل الحدود وحسب بل جاءت على شكل زيجات سياسية من أجل توسيع دائرة النفوذ ولزيادة حجم الدعم المادي والعسكري لتحقيق أهداف مشتركة لكلا الطرفين المتحدين مثل زواج علي باي وابنه منصر شيخ الحنانشة.

2- الهجرة :

- هجرة الأفراد:

(1) إبراهيم العوامر: الظروف في تاريخ الصحراء وسوف، تح: الجيلالي بن إبراهيم العوامر، د ط، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس، الجزائر، 1977م، ص ص 62-63.

(2)نفسه.

لم تكن الظاهرة بارزة جدًا وقد كان عامل الوضع الد يمغرافي والاقتصادي متحكما فيها بشكل كبير رسمت معالم هذه الظاهرة بعض القبائل والأسر والأفراد وذلك عن طريق تنقلاتهم بين الايالتين فهناك بعض الفئات العمالية الجزائرية نحو تونس[1]، خاصة من قرى غرداية والقرارة وبني بوزقن دفعهم للهجرة معيشتهم الصعبة التي يعانونها وذلك بسبب ضعف المردودية الفلاحية جراء إنهاك الأرض بالإضافة إلى مشكل الري فهاجروا إلى تونس التي استقروا فيها خاصة بالعاصمة وجربة[2]، ولم يقتصر دورهم في قطاع الفلاحة فقط بل اشتغلوا في الاكتساء والأسلحة النارية والحرف ..... وبرعوا في صناعة الجلد والخياطة التي كانت أساسا ذات أصل جزائري وخاصة عن أهل الشرق[3] كما أن هنالك أفراد جزائريين شغلوا مناصب سامية في الايالة التونسية مثل احمد البرناني الجزائري الأصل أصبح كبير أهل الشورى (باش مفتي) [4] كما وجت فئات تونسية أيضا بالجزائر وقد تقلدوا مناصب سامية كأبو حفص عمر محمد الذي تولى القضاء العسكري في عهد محمد بكداش[5].

هجرة الجماعات والقبائل:

لم تقتصر الهجرة بين الايالتين على الأفراد فقط بل أن هناك بعض الجماعات والقبائل هاجروا من تونس إلى الجزائر والعكس صحيح مثل جماعة من أهل جربة خلال القرن السادس عشر حيث سمي زقاق باسمهم "زنقة الجرابة" قبل 1623م، ومارسوا التجارة ومنهم

(1) كريم بن بدر: الحرف والحرفيون بمدينة تونس خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، رسالة ماجستير، إشراف عبد الحميد لرقش، جامعة تونس، س ج، 2005/2004، ص122.

(2) يوسف بن بكر الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب- دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، د ط، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص47.

(3) كريم بن بدر: المرجع السابق، ص122.

(4) حمادي الساحلي: فصول في التاريخ والحضارة، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان 1992، ص60.

(5) محمد بكداش: تولى الحكم سنة 1118هـ/1707م، وتوفي قتيلا 1122هـ/1710م، ينظر إبن مسمون، المصدر السابق، ص44.

باعة متجولون أيضًا لجأ للجزائر شخصيات معارضة للسلطة التونسية نذكر محمد بن عمار الفرجاتي الذي قاد حركة معارضة ضد السلطة التونسية 1812م.

أما القبائل فجاءت هجرتهم نتيجة التعسف الضريبي المسلط عليهم فاعتبرت هجرتهم فرارا من الالتزامات وهذا ما كان ينغص العلاقات بين الايالتين يقول ابن أبي الضياف « فقال له صاحب الطابع: « سيدنا لا يخاطر برأسه، وأنا لا أخاطر برأسي، وأنت لا تخاطر برأسك. ونكون آلة ظلم للجزائر لأهل تونس، ولا يخفاك أن الظلم من أقوى الأسباب على الجرأة، فنخشى أن الرعية تنظر لنفسها حاميًا يقيها ووجوه النظر كثيرة منها أن تسلم نفسها لصاحب الجزائر، وإذا انتظمت في سلك رعيته، كان لها ما لهم وعليها ما عليهم، فانظر لنفسك وبنيك أيها الشيخ»[1]، حيث في عام 1789م وفدت بعض القبائل التونسية إلى الحدود الجزائرية من جهة تبسه ودخلت الجزائر فارة من قوات علي باي فوافقت السلطة الجزائرية على احتضانها وطلبت من السلطة التونسية تعويضات عن الخسائر التي خلفتها اثر مطاردتها للقبائل الهاربة[2].

وتجدد الصراع بينهما عام 1787م اثر فرار قبائل من الشرق الجزائري نحو تونس تملصا من دفع الضرائب لعمال صالح باي وهنا وجه هذا الأخير أصابع الاتهام لحمودة باي واعتبره وراء تحريض هذه القبائل للتمرد على السلطة وكادت تنشب الحرب بينهما إلاّ أن وضع تونس المضطرب دفع بحمودة باي إلى الانصياع ودفع التعويضات وفي هذا الصدد[3] قال ابن أبي الضياف: « وكانت رسلهم تنزل ببارود وبدار الضياف بتونس، ويلاقي المأمورون بهم من شدة التعسف والعنف ما يستفز طبع الحليم، وحمودة باشا في خلال ذلك يتجرع الغصّص ويجرعها لرعيته، وإذا اشتكت العربان من تعسف الجزائيين يقول

(1) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج2، ص ص، 40-41.

(2) محمد صالح العنتري: المرجع السابق، ص80.

(3) ناصر الدين سعي دوني، المرجع السابق، ص 244-245.

لهم: «لم أجد من أتحزم به منكم على دفع هذا الضيم» فتنفعل نفوسهم، حتى توغّرت صدورهم، واشتملوا على بعض الجزائريين، والظلم مبغض بالطبع، والله لا يحب الظالمين»[1]، وقد ارتفع مؤشر الهجرة فور بروز تداعيات نهاية الحكم العثماني بالجزائر وبدايات الاحتلال الفرنسي.

المطلب الثالث: نتائج هذا الترابط ومواطن التشابه بين الايالتين

ولّد هذا الترابط بين الايالتين إلى خلق نوع من الاحتكاك الايجابي الذي بدوره أعطانا نموذجا مشتركا من العادات والتقاليد تمثلت في:

1 - المأكل وأصناف الطعام:

فقد تشاركت الايالتين في عدة أطباق وبرز فيها تشابه كبير نذكر منه، طبق الكسكس ويعتبر من أشهر المأكولات التي تميزت منطقة المغرب العربي وحتى الأواني التي يطبخ فيها الطعام كقدور الطين[2].

2 - **الملبس**:

ظهر هذا التشابه في عدة ألبسة سواء المسميات أو مواد الصنع ففي تونس تحديدًا في الريف الجنوبي كان الأعيان يلبسون بلوزة وفوقها القشابية وهي جبة من الصوف البني ويضعون فوق رؤوسهم الشاشية التي يعلوها الزنزار وهو الجزء المتصل بالقشابية من جهة الظهر ويستعمل كقطاع للرأس « وحسب بيسونال كانوا تجارا وبرجوازيين يلبسون سراويل، وقميصا بأكمام طويلة وجبة صوف بدون أكمام وبرنسًا من قطعة واحدة بغطاء للرأس... وكلها من صوف أبيض»[3].

(1) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج3، ص 40.

(2) إبراهيم العوامر: المرجع السابق، ج1، ص38.

(3) المختار باي: المرجع السابق، ص364.

أما لباس النساء فهو عبارة عن ملاءتين واحدة من الأمام والثانية من الخلف ولا يتم خياطتها بل وصلهما بمشبكين من فضة على الكتف ويلبس عليهما حزام أحمر يربط بحلقة من نحاس ويغطين رؤوسهن بعمامة إضافة إلى لثام يغطي الرأس والكتفين وتشبك بهما حلقات كبيرة للأذن[1] وهذا ما عرف عند الجزائريين أيضا إلا أن الاختلاف لدى النساء يمكن في لون اللباس كما اشتركن في لباس الحايك[2] ففي تونس يلبسه الطبقة الوسطى أما في الجزائر فعرف عند نساء الشمال على وجه الخصوص[3].

3- التشابه في تقاليد و أعراف الزواج:

كان عندما يريد الرجل الزواج فإنه يكلف أهله بذلك وأحيانًا هنالك نسوة يختصون في هذا الأمر وذلك بعد أن يملي الرجل كل الصفات التي يريدها في عروسه ويتم اللقاء بين أهلي العريس والعروس فإذا تم القبول من كلا الطرفين تقام حفلة صغيرة تقدم فيها الهدايا للعروس من حلي وزينة وفواكه وحلويات وغيرها ثم يتم عقد القران في احد المساجد وكتابة العقد وفي هذه الفترة لا يكون العريس قد رأى عروسه بعد إلاّ إذا كانت جارته أو إحدى قريباته قد رآها في الصغر[4].

ويحضر أهل وأحباب وأقارب وجيران العريس في حفلة العرس فتضرب الطبول وتقرع الدفوف ويدوي فيها البارود في وسط بهيج من الفرحة إلى غاية أن تزف العروس لبيت زوجها[5] التي تمكث فيها دون الخروج منه إلا وقت الضرورة الملحة وغالبا يكون خروجها وقت الغروب وبهذا يتشابه الشعب الجزائري والتونسي[6].

---

(1) حسن محمد جوهر: تونس، د ط، دار المعارف، مصر، 1961، ص85.

(2)الملحق رقم 6 : صورة توضيحية تبين لباس الحايك للمرأة الجزائرية أثناء العهد العثماني ، ص96.

(3) إبراهيم العوامر: المرجع السابق، ج2، ص 82.

(4) حسن محمد جوهر: المرجع السابق، ص65.

(5) بن سالم بن الطيب بلهادف: سوف تاريخ وثقافة، د ط، مطبعة الوليد، الوادي، الجزائر، 2007، ص 138-139.

(6) احمد بن الطاهر المنصوري: المرجع السابق، ص89.

4- العادات والتقاليد المشتركة في الاحتفالات الدينية:

بالرغم مما عاشه مجتمعات شمال إفريقيا خاصة تونس والجزائر جراء الحروب والكوارث الطبيعية وغيرها من الصعوبات إلا أنه يجدر بنا تسليط الضوء على جانب مبهج ألا وهو الاحتفالات بالأعياد والمناسبات سواء الدينية أو المحلية فقد تميز المجتمعان بخصائص عن باقي الشعوب العربية الأخرى فقد كانوا كالمجتمع الواحد جمعهما الدين الإسلامي واللغة وحتى تقارب اللهجة ويعدان أيضا من رعايا الدولة العثمانية وفرقتهم الحدود الجغرافية والظروف السياسية وتجسد تلاحمهما في العادات والتقاليد المشتركة وخاصة احتفالات دينيه مثل:

- **عيد الفطر:** هو احد العيدين اللذان يتكرران سنويا فيقومون بتنفيذ ما أسنه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من طريقه الاحتفال بهذين العيدين فضلا عن الإضافات التي أضافها سكان الايالتين من عادات وأمور محلية لا زالت لحد اليوم[1] تمارس، وقد كان يعلن عن يوم العيد بقرار رسمي مع المفتي بعد تحديده وكان يسمى عيد الفطر بالبيرام[2] ومع حلول الصبح وإشراق الشمس تطلق نيران البنادق وتقوم الفرق العسكرية بعزف الموسيقى الحربية وبعد الفراغ من صلاه العيد تفتح أبواب القصر للوافدين من العامة والخواص وكانت هنالك عدة مظاهر للاحتفال داخل القصر كعزف الموسيقى والمأدوبات وكذا إطلاق المفرقعات وتدوم هذه الاحتفالات لمدة ثلاث أيام متعاقبة[3].

يتم في اليوم الأول رفع العلم على القصر ومختلف القلاع وتطلق المدافع موجهة نحو البحر وتقام مباريات المصارعة ويقدم كبار الموظفين والأعيان على تقبيل يد الداي والباي

(1) سيمون يفاير، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تعريب وتقديم أبو العيد دودوا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، 1974، ص76.

(2)venture de paradis, tunis et alger au 18eme siecle, mémoires et observations rassemblées et présentées par j cuocq, la bibliothéque arabe simdbad, 1983, dijon, p287.

(3) دوبالي خديجة، المرجع السابق، ص251.

وتقديم التهاني وكذلك يتم حضور قناصل الدول الأجنبية الموجودة بايالة الجزائر وممثل طائفة اليهود وتقام لهم مادوبة كبيرة يتم فيها تناول الغذاء والحلويات والمشروبات المتنوعة[1].

- **عيد الأضحى:**

كان يسمى بكوبار بايرامي kurbar bayrami أو كابحوك بايرامي kyjuk.bayrami كان مختلفا بعض الشيء حيث بعد الفراغ من صلاة العيد يتم التوجه نحو القصر لذبح أضحية العيد ثم يرفع العلم على سطح القصر وتطلق المدافع طلقاتها ثم يعلن للرعية أن الداي انتهى من ذبح أضحيته وبالتالي بإمكانهم الشروع مباشرة في ذبح اضحياتهم[2].

- **يوم عاشوراء:**

فكان الاحتفال به في تونس بطبخ أشهى الأطباق وأشهرها الديودة بالفطير والمعاتر، والفطير عبارة عن عجينة من الدقيق تعجن بدون خميرة وتطبخ بلحم الدجاج وكان يتم الاحتفال بهذا اليوم بنفس الطريقة في الجزائر وما أشبهها بطريقة الاحتفال في وقتنا الحالي وجرت العادة كذلك في يوم عاشوراء بتزيين الدكاكين ويتم بيع الفواكه الجافة وتقدم الهدايا للأطفال ويتم عرض الآلات الموسيقية[3].

- **المولد النبوي الشريف:**

وكان يتم تحضير أجمل المدائح الدينية وتزيين الشوارع بالشموع والأنوار كما توزع الهدايا والعطاءات على الفقراء، ويجتمع رجال الحكم والعلماء في بيت نقيب الأشراف ويتم تقديم الهدايا له وتعود هذه العادة إلى العهد الحفصي ويكثر ذكر الله وتلاوة القرآن في كل

(1)نفسه.

(2)نفسه.

(1)mohamed ben –abi-el-kairouani, histoire de l’afrique, traduits de l’arabe et résume par. M.M.E, pélissier, imprimerie royale, paris, MDCCXLV, p490.

الزوايا والمساجد[1]، ويقول ابن أبي الضياف عن هذا الاحتفال « وكان يوم المولد بحاضرتنا كمواسم السنة، غير العيدين، ويزيد باجتماع الصبيان في المكاتب مفروشة يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم، فاقتضى نظره أن شأن المولد يجب له من السرور والفخامة ما لا يجب لغيره وأمر بتنوير سائر المآذن بالحاضرة ليلة المولد وليلتين بعده»[2].

- **شهر رمضان:**

فقد كانت له حصة من هذه الاحتفالات والبهجة فيتم استقبال الشهر الفضيل في أبهى صور الفرح وذلك عن طريق تزيين أبواب المساجد وتضاء الشوارع لمده 30 يوما ويتم ختم القرآن الكريم في المساجد وأداء صلاة التراويح[3].

كما أنه كان يتم الاحتفال بليلتي الخامس عشر والسابع والعشرون من شهر رجب أي ليلة الإسراء والمعراج وبحسب ما جاء في كتاب القيرواني فإن منطقة شمال إفريقيا تخص هاتين الليلتين بالاحتفال وان الجزائريين لا زالوا يصومون منتصف شهر رجب[4].

ومن أوجه الترابط الاجتماعي بين الايالتين من ذكر التشابه الكبير في النطق واللهجات لهذا وجدت عدة روابط سواء اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية وغيرها وبالتالي كانت رابط أساسي بين شعبي الايالتين وكذا يتضح لنا التشابه في العمران.

المبحث الثاني: العلاقات الثقافية بين تونس والجزائر

(1) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج4، ص 53.

(3)mohamed ben –abi-el-kairouani, op cit, p492.

(4) ibid , p502.

(1)sham, voyage dans la régence d’alger ou description géographique, physique, philologique, etc, de, cet-etat, traduit de l’anglais, j, McCarthy, marlin éditeur, paris, 1830, p129.

عرف النشاط الفكري والثقافي في العهد الثماني ركودًا نسبيًا كان سببه عدم اهتمام العثمانيين بهذا الجانب بشكل كبير وعدم محاولة تطويره بل حافظ على شكله القديم ونذكر على وجه الخصوص الايالتين الجزائر وتونس حيث أن النشاط العلمي فيما عرف تراجعًا مقارنة بما كان عليه قبل العهد العثماني إلا أن هذا يعني غياب هذا الجانب كليًا بل وجد الكثير من العلماء الذين تركوا رصيدًا فكريًا وثقافيًا هامًا جدًا وأدى الترابط بين الجزائر وتونس إلى خلق نوع من التبادل العلمي من خلال الرحلات العلمية وحتى هجرة العلماء فيمكننا الاطلاع على أهم المحطات التي تميز بها الجانب الثقافي.

المطلب الأول: الرحلات العلمية

- **تعريف الرحلة لغة:** تدل على المضي والسفر، يقال جمل رحيل ذو رحل، أي له القدرة على السير، ورجل رحال وقوم رحل أي يرتحلون كثيرًا، كما يقصد به أيضًا بلوغ المكان المراد الوصول إليه وتفيد كذلك الانتقال والذهاب[1].
- **الرحلة اصطلاحا:** وهي حركة التنقل التي يقوم بها الفرد لو الجماعة من مكان لأخر لتحقيق مقاصد عديدة وبلوغ هدف معين[2].
- **تعريف الرحلة العلمية:** هي السفر الذي يقوم به الإنسان من اجل طلب العلم ويتحدون بذلك عناء وشقاء في سبيل تحصيل علم لم يعرفه أو يريد البحث والتعمق فيه أكثر.

1- رحلة العلماء الجزائريين إلى تونس:

اعتبرت تونس إحدى أهم الحوافز العلمية في العالم الإسلامي وعرفت الكثير من الرحلات لها قصد طلب العلم، وكان العلماء الجزائريين لا يختلفون عنهم فكان أول من شد

(1) جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور: لسان العرب، دط، المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر، القاهرة، د س ن، ص294.

(2) عواطف محمد يوسف نواب: الرحلات المغاربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، دط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1417هـ، ص41.

الرحال نحو تونس عيسى بن محمد بن عامر الجعفري (1020-1080هـ/1611-1669م)، يعود أصله إلى وادي يسر من وطن الثعالبة بالجنوب الشرقي لمدينة الجزائر وقد ترعرع في منطقة القبائل الكبرى وبعدها انتقل للعاصمة للتعليم على يد علماءها وبعدها شد الرحال إلى تونس ثم المشرف العربي وتوفي هناك بمكنة المكرمة، ويعتبر من كبار الفقهاء المالكيين[1] وأبرز مؤلفاته فهرسة معنونة بـ "كنز الرواة" المجموع في " الحجاز وتحفة الاكباش في حسن الظن بالناس[2].

- أبو العباس أحمد بن قاسم بن محمد الساسي التميمي ألبوني (1063-1139هـ/1653-1726م) من أسرة عريقة مشهورة بالعلم والتصوف تعلم في مسقط رأسه ثم ارتحل إلى المشرق ثم مصر وذهبت إلى تونس حيث مكث، كثيرا بعدها عاد إلى وطنه وشرع في التدريس والتأليف في مسقط رأسه من أشر مؤلفاته: منظومة في التاريخ المسماة الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة[3].
- عبد الرزاق حماد وش الصيدلي والفلكي والمنطقي عرف باهتمامه بالعلوم الرياضية والطبية، والفقه والنحو والتصوف والأدب والتاريخ برز في مدينة الجزائر (1107هـ/1695م)، تلقى تعليمة عن طريق أمثال القاضي مصطفى بن رمضان العنابي ومحمد بن ميمون الجزائري، وأثناء رحلته العلمية تمدرس على يد عدة علماء مغاربة أمثال محمد زيتونة التونسي[4].

---

(1) عمار هلال: « علماء الجزائر في تونس فيما بين القرنين الرابع عشر للهجرة والعشرين للميلاد» مجلة الدراسات التاريخية، عدد11، و12، د ط، دار الحكمة، الجزائر 2001، ص62.

(2) عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980م، ص91.

(3) أحمد بن القاسم ألبوني: الدرة المصونة في علماء وصل حاء بونه، تق وتح: سعد بوفلاقة، ط1، منشورات بونه للدراسات والبحوث، الجزائر، 2007، ص12.

(4) عبد الرزاق ابن حماد وش: لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، رحله ابن حماد وش، تق، تح: أبو القاسم سعد الله، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص 253-255.

- العلامة الورثيلاني[1] من علماء البلد الذين حطت بهم الرحال في تونس أثناء رحلتهم الحجازية، حيث أقام بها مدة سنة (1766م-1767م)، وقد عبر عن إعجابه بتونس ومدى ازدهارها في العلم وتفوقها في المجال الفكري خاصة في جامع الزيتونة[2].

وهذا ليس بالغريب عن الحاضرة تونس بل كان فقهاءها دائًما محل ثقة في حل المشاكل وهلاً للشورى يذكر صاحب الإتحاف ابن أبي الضياف عن إسماعيل التميمي عالم من علماء جامع الزيتونة حينما قال «.... كان هذا الفاضل من علماء هذه الأمة المحمدية، أية الله في الحفظ والثبات، اخذ مأخذ المجتهدين في تعليل المسائل الفقهية، بمدارك أصولها الشرعية ويصرح بأنه من أهل الترجيح ولم ينكره احد عليه، بل يعتمدون ترجيحه عند تسليم الدليل ويستفتي من حاضرة العلم فآس ومن قسن طينة والجزائر وطرابلس ويجيب بالكتابة[3].

2-رحلة علماء تونس إلى الجزائر:

تعتبر الرحلات التونسية إلى الجزائر نظيرة الرحلات الجزائرية إلى تونس فقد دفعت عدة أسباب بالطلاب والعلماء التونسيون بحط رحالهم بالجزائر والأخذ من علماءها فلا يخفى على أي احد أن الجزائر كانت تنعم بثلة من العلماء والفقهاء من الطراز الرفيع.

ويمكننا أن نذكر بعض العلماء التونسيين الذي اختاروا الجزائر وجهة لرحلتهم العلمية فمنهم:

(1) الورثيلاني: هو الحسين بن محمد بن سعيد من بني ورث يلان بالقرب من بجاية ولد عام 1125م، ينحدر من أسرة شريفة عربية عريقة في العلم والتدريس، وكان والده وجده من المرابطين من مؤلفاته "نزهة الأنظار في فضل التاريخ والأخبار"، ينظر: أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج2، ص 394-395.

(2) أحمد بن عبد السلام الحب لوي عبد الرزاق: المؤرخون التونسيون في القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر، د ط، بيت الحكمة، تونس، 1993، ص71.

(3) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج8، ص12.

- محمد تاج العارفين بن احمد البكري العثماني 1628م، يعتبر أول من تولى الإمامة في جامع الزيتونة[1] من بيت البكريين تمدرس على يد الشيخ عيسى الثعالبي بالجزائر وقدم مع الوفد المطالب بالهدنة بين الجزائر وتونس في واقعه الحدود ومن أهم تأليفه: « أعمال النظر البكري في تحرير الصاع النبوي التونسي»[2].
- ابن برناز[3] الذي جال معظم القطر الجزائري لتحصيل العلم نزل مباشرة في عنابه بعد مجيئه من تونس واخذ يتعلم على يد الشيخ احمد بن ساسي وتوجه بعدها إلى قسن طينة ودرس على يد مفتيها الشيخ بركات بن بأديس والشيخ علي الكماد، ثم قصد الجزائر العاصمة وأخذ عن رمضان بن مصطفى العنابي وعلي بن خليل ومحمد بن سعيد قدوره، ثم توجه إلى بلاد القبائل واخذ عن الشيخ محمد الفاسي واحمد بن عبد العظيم وقرأ القرآن بالروايات السبع على يد محمد بن حولة بعدها رجع إلى تونس من مؤلفاته: « أعلام الأعيان بتخفيفات عن العبيد والصبيان»[4].
- محمد البشير بن محمد الطاهر بن محمد السعيد الشريف التواتي (1211هـ/ 1892م)، هو تونسي المولد والأصل أما عن التواتي التي أضيفت له من قبل أهل الجزائر وهو نسبة لرجل صالح من أهل توات اتصل به وأخذ العلم عنه فضّم آهل الجزائر لقب هذا الرجل الصالح لاسم الشيخ محمد البشير[5].

---

(1) الملحق رقم 7 : صورة توضح جامع الزيتونة عام 1880 م ، ص97.

(2) محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1982، ص154.

(3) ابن برناز: هو احمد بن مصطفى ابن الشيخ محمد بن مصطفى الشهير بقارة خوجة المعروف بابن برناز، من سلالة الأتراك المستقرين بتونس ولد سنة 1677م، حفظ القرآن الكريم ودرس العلوم على أيدي مشايخها خاصة محمد قتاتة توفي عام 1726م، ينظر: محمد محفوظ، المرجع السابق،ج1، ص122.

(4) احمد ألطويلي: تاريخ مدينه تونس الثقافي والحضاري من الفتح إلى أواخر القرن 19، ط1، الشركة التونسية للنشر وتنميه فنون الرسم، تونس 2002، ص 113-114.

(5) محمد محفوظ: المرجع السابق، ج1، ص252.

كما جاء إلى الجزائر عدد من علماء تونس ومعهم مكتباتهم ومؤلفاتهم كإبراهيم الغرياني[1] ومحمد الباجي الشافعي وحمود عبد العزيز وغيرهم.

المطلب الثاني: الهجرة العلمية

تحكم بعض الظروف كثيرا من العلماء على مغادرة أوطانهم الأم ويشدون الرحال لدول أخرى دونما رجعة فمنهم من يغادر نتيجة الاضطرابات السياسية والتعسف والظلم وبعضهم ينفى كمحمد ابن احمد الشريف الذي نفي إلى أزمير وأحيانا أخرى تكون بسبب الأوضاع الاقتصادية أو علمية لتوفر تلك البلدان على مغريات علمية يجد بها العالم ملاذه ونلاحظ بالنسبة للهجرة العلمية من الجزائر نحو تونس ضعيفة جدًا مقارنة بهجرتهم نحو فاس ومصر والحجاز وذلك لتشابه النظامين السياسيين وعدم توفر تونس على نفس حجم المغريات العلمية التي تتمتع بها باقي الحواضر العلمية.

1- هجرة علماء الجزائر نحو تونس:

سبق وأن سلطنا الضوء على هذا الظروف التي حكمت العلماء على الهجرة خارج وطنهم من بنيهم علماء جزائريون اختاروا تونس وجهه لهجرتهم من الجزائر نذكر منهم.

- ابن عاشور القسنطيني[2]: الذي كان في رحلة دامت لعشرين سنة طلًبا للعلم وتقلبت محطاته بين السودان ومصر والمغرب الأقصى وعاد إلى قسنطينة إلا انه غادرها نحو

(1) إبراهيم الغرياني: هو أبو علي إبراهيم ابن العالم الفقيه عبد "اللطيف الغرياني" ويعتبر عالم مجدد في علوم الأدب وله عناية به وخاصة علم البديع: ينظر: محمد النيفر: عنوان الأديب عماد نشأ بالمملكة التونسية من عالم وأديب، ط1، المطبعة التونسية، تونس،ج1، 1391 هـ، ص296

(2) ابن عاشور القسنطيني: ولعد عام 984à/1576م، وتوفي 1074هـ/1664م، كان ذا شهرة في الأدب وعلم النحو والصرف وعلى براعة في علم الفلك. ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 383، 384.

تونس بسبب ظلم أصابه فيها واستقر بتونس ودرس في جامع الزيتونة وكان يروي لطلبته عن ما شاهده في أسفاره[1].

- ابن عمار الذي غادر الجزائر، نحو تونس بحثاً عن مناخ مناسب لنشاطه الفكري، ألف بها عملين هما: "رسالة في التفسير والأدب" و"تاريخ في سيرة وأثار باي تونس علي باشا بن الحسين" إلا أنه لم يستقر بها كثيرا فسرعان مهاجر إلى المشرق[2].
- أبي يعقوب يوسف بن محمد الذي ولد عام (1079هـ - 1669م) جاء رفقة والده الشيخ "محمد المصعبي" ليتوطن بتونس في جربة تحديدا وهذا كان عام 1103هـ/1692م[3].
- أبو القاسم القسنطيني يقول عنه ابن أبي الضياف في كتابه" الإمام العلامة فريد دهره، وحجة عصره، قاضي الجماعة، شيخ الشيوخ، الحجة جامع شتات العلوم، القاضي أبو القاسم القسنطيني احد تلامذة الغربيني"، توفي سنه 846هـ/ 1442م، وقد هاجر إلى تونس قبل العهد العثماني[4].

2- هجرة علماء تونس نحو الجزائر:

لقد كان لعائلة قدوره دور بارز في الساحة العلمية في الجزائر ومؤسس هذه العائلة هو أبو عثمان سعيد بن الحاج إبراهيم بن عبد الرحمن قدوره 1666م، والمتفق عليه أن أصله تونسي لكن مولده ونشأته كانت في الجزائر واخذ اسم العائلة قدوره من قرية قريبة من جربة، على ساحل تونس ولقد تولت أسره قدوره الإفتاء المالكي لأكثر من قرن من الزمن واشتهروا برواية الحديث وكذلك برواية الأخبار والأنساب[5].

(1) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 82.

(2) نفسه، ص226.

(3) نفسه.

(4) ابن أبي الضياف: المرجع السابق، ج7، ص62.

(5) أحمد عبد السلام، وعبد الرزاق الحليوي: المرجع السابق، ص39.

- احمد الاصرم الذي قدم من تونس إلى الجزائر أصله من القيروان ونسب بيتهم من قبائل الفتح اليمنية قدم مع الباي محمد باي بن حسين في صراعه ضد علي باي واحترف في الجزائر مهنة صناعة التوثيق[1] ويقول عنه ابن أبي الضياف بأنه تقدم لرئاسة قلم الإنشاء وألقاب الوزارة[2].

المطلب الثالث: نتائج العلاقات الثقافية (الطرق الصوفية):

تعد الطرق الصوفية احد أشكال التبادل الثقافي وقد لعبت دورًا كبيرًا في تقارب الشعبين.

1- الطرق الصوفية التي انتقلت من الجزائر إلى تونس:

وهما طريقتان: الرحمانية والتجانية.

- **الرحمانية:** اشتقت هذه الطريقة من الطريقة الخلوتية[3] أسسها محمد عبد الرحمن الجزائري ولد عام 1720م بقبيلة آيت إسماعيل درس بالعاصمة وتوجه عام 1739م إلى المشرق قصد أداء فريضة الحج وأثناء عودته مكث بالأزهر مدة طويلة وتردد على علماء مصر وكبار متصوفيها كالشيخ محمد بن سالم الحفناوي الذي ادخله الطريقة الحلوتية وأمره بالدعوة لها وهذا بالفعل ما قام به محمد بن عبد الرحمن في كل من الهند والسودان وبرع في ذلك ثم عاد إلى الجزائر عام 1183هـ/1769م، فأسس في مسقط رأسه زاوية ونشر فيها العلم والسلوك الصوفي وانتقل إلى الحامة وأقام زاوية هناك فانتشر

(1) ابن أبي الضياف: المرجع السابق، ج2، ص178.

(2) نفسه، ج7، ص51.

(3) الطريقة الخلوتية: استمدت تسميتها من مؤسسها عمر الخلواتي احد الصالحين توفي بقصيرية في سوريا عام 1398. ينظر: التليلي العجيلي: الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939)، دط، منشورات الأزهري، تونس، 1992، ص49.

طريقته الصوفية واقبل عليه المريدون من تونس والمغرب إلا أنه بسبب بعض المعارضين له عدم مجددًا إلى مسقط رأسه وتوفي هناك عام 1793م[1].

وقد بدأت هذه الطريقة في تونس بالظهور منذ أواخر القرن الثامن عشر وقد عين شيخها مصطفى الطرابلسي وهو احد أتباعه للدعوة ونشر الطريقة وقد لاقى استجابة كبيرة وإقبالا عليها وأسس زاوية في الكاف عام 1785 م.

- **التيجانية:** مؤسسها أبو العباس احمد بن محمد بن سالم المختار التجاني ولد عام 1737م في الاغواط، وكان سليل أسرة شريفة مشبعة بالعلم والتصوف وتلاوة القرآن توجه إلى فآس في عمر ناهز العشرين سنة وذلك قصد التعلم على يد علمائها وأخذ الطريقة الطيبية من الشيخ الطيب الوزاني وكذا الطريقة الناصرية عن الشيخ محمد بن عبد الله التزاني وعند ذهابه للحج واخذ من الطريق الرحمانية .

ثم قصد توات للانعزال في أبي سمغون[2] وهناك أعلن أن الله فتح عليه الفتح الأكبر عام 1982 وجعل لنفسه طريقه جديدة تعرف بالتيجانية فلاقت إقبالا كبيرًا بالرغم من مطاردة السلطة للشيخ ولأتباع هاته الطريقة إلا انه استطاع أن ينشرها بشكل كبير خاصة في المغرب العربي ونجد من مشاهير هذه الطريقة من التونسيين يوسف ذنون ومحمود التونسي الشاعر والعلامة إبراهيم الرياحي التونسي الذي نال شرف مشيخة الطريقة في تونس، بل ويعتبر في نظر أتباعها ناصرها الحامي[3].

2- الطرق الصوفية التي انتقلت من تونس إلى الجزائر:

تمثلت هذه الطرق في طريقتين : الشابية والقادرية.

(1) محمد نسيب: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، د ط، دار الفكر، د س ن، ص ص، 151-152.

(2) عبد الباقي مفتاح: أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه، د ط، الوليد للنشر والطباعة، الوادي، الجزائر، د س ن، ص28.

(3) أبو القائم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1، ص 510-511.

- **الشابية:** مؤسسها أحمد بن مخلوف وهو من أنصار الطريقة الناصرية وهذا ما جعل الكثيرين يقولون بأنها متفرعة من الطريقة الناصرية إلاّ أنه من المرجح أنها إشتقت من الطريقة الشاذلية كشأن بقية الطرق وسميت بالشابية نسبة للشابة وهي مكان قرب المهدية[1] إلاّ أن سيدي عرفة الشابي يعتبر المؤسس الفعلي لها لكونه جعلها منهجًا ومسلكًا دينيًا وكغيرها من الطرق تعرضت للمعارضة الشديدة فإنطفات لبعض الوقت ثم عادت للظهور من جديد تحت مسمى "بيت الشريعة" الذي أسسه محمد المسعود الشابي بالصحراء الجزائرية التونسية ويعتبر من أهم الشخصيات الفاعلة وكان له دور كبير في أحداث تونس وقد جاء إلى سوف بعد سماعه بأن أهلها قد ظلوا عن طريق الحق وجاء ليمهّد لهم طريق النور والإيمان وبني بها مسجدين هذا فضلاً عن تأثيره السياسي في البلدين ومعارضة للسلطة المركزية سواء في الجزائر أو تونس[2].

وقد لجأ إلى جبل بشار بالقرب من خنشلة، وذلك بسبب توتر علاقته مع السلطة التونسية وأقام فيها زاوية واستطاع من خلالها أن يفرض سيطرته وعرفت طريقتها انتشارا وسعا بالجزائر خاصة في الشرق الجزائري[3].

- **الدرقاوية:** تنسب إلى مؤسسها محمد العربي، أحمد بن محمد بن يوسف الملقب بأبي الدرقاوي الشريف الإدريسي ولد بضواحي مراكش 1150هـ/1737م[4]، امتهن التدريس بفأس وكان يتردد على دروس الصوفية وبعدها شرع في تأسيسي زاوية في بوبريح وأخذ

(1) إبراهيم لعوامر: المصدر السابق، ص192.

(2) محمد أحمد ورنيقة: الطريقة الشاذلية وأعلامها، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1410هـ/1990م، ص14.

(3) محمد الأمين بلغيث: الطريقة الشابية في الجزائر وتونس، محاولة لرسم مسار الحركة، المجلة التاريخية المغربية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، السنة 31، العدد 114، تونس، مارس، 2004، ص ص 40-41.

(4) الأغا بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود، تح: يحي بوعزيز، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص303.

يدعوا أتباعه لنشر دعوته وقد لاقت هذه الطريقة انتشاراً واسعًا خاصة في الجزائر وكانت تخوض الحروب ضد السلطة المركزية بالجزائر وتلقت الدعم من باي تونس وقام بتمويلها ودعم هذا المجال الطرقي فقد اقنع حمودة باي ابن الاحرش الذي كان يقاتل في الجهة الشرقية وحرصه على أتراك الجزائر ووعده بتقديم المساعدة[1] إلاّ أن السلطة الجزائرية وضعت حدًا لهاته الحرب وذلك بعد جهدٍ بذلته تكبدها خسائر كبيرة[2].

(1) أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص87.

(2) حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص38.

خاتمة

في ختام هذه المذكرة المخصصة للبحث في العلاقات الجزائرية التونسية من خلال كتاب ابن أبي الضياف توصلنا إلى الملاحظات والنتائج الآتية:

- يعتبر دخول تونس تحت راية الحكم العثماني نتيجة للظروف التي شهدتها خلال القرن 17 أهمها التحرشات الاسبانية على سواحلها والتي استهدفت سيادتها ومقوماتها الأساسية كالدين الإسلامي الذي عزمت الدولة العثمانية الدفاع عنه.
- حاولت بعض الشخصيات السياسية الاستقلال بالحكم كمراد باي الذي أسس الأسرة المراديه وتولى الحكم فيها وأورثها لأولاده من بعده، لكن الظروف التي عاشتها هذه الأسرة سرعان ما أدت إلى نهايتها وبروز شخصية أخى تحت حكم تونس وهو حسن بن علي تركي مؤسس الأسرة الحسينية 1705.
- عرف البيت الحسيني اضطرابات سياسية وصراعات على السلطة زعزع استقرار هذه الأسرة وقد كان هذا الصراع قائم بين حسان بن علي وابن أخيه علي باشا الذي استأثر بالحكم بمساعدة الجزائريين الذين أرادوا الحفاظ على التبعية تونس لها.
- مقتل حين بن علي على يد ابن أخيه برزت روح الإنتقام لدى أبناء حسن بن علي الذي سعوا للإطاحة بعمهم علي باشا إلى أن قاموا بقتله واسترجاع الحكم لهم.
- تميزت العلاقات التي كانت بين الجزائر وتونس طيلة هذا القرن بجملة من التوتر، وتحكم في هذه العلاقات أسباب عديدة سياسية اقتصادية اجتماعية وأخرى إقليمية أدت في النهاية إلى مواجهات عسكرية في العديد من الوقائع طيلة القرن 18م.
- إن السياسة الحكيمة التي اتبعها البايات الحسينيون قد ساهمت في استقرار أصول الرعية.
- الحروب الداخلية والخارجية التي خاضها البايات قد أثرت على الحالة الاجتماعية والسياسية المنتهجة من طرف الحكام.
- تطوير السياسة الداخلية واختيار رجال أكفاء قد ساعد على تحسين أداء الإدارة.

- مساهمة البيات الحسينيون في تشجيع العلاقة الصناعية وترويجها عن طريق إقامة علاقات جيدة مع دول مجاورة وخارجية وفتح الأسواق داخلية كانت أو خارجية.
- ساهم الاستقرار الذي عرفته الايالة في زيادة النمو الديمغرافي إلا أنه تأثرت بالكوارث الطبيعية التي عرفتها الايالة خلال القرن 18م على الرغم من محاولة من محاولة البايات إيجاد الحلول الوقائية للتخفيف منها.
- نجاح البايات الحسينيين في الاستقلال عن الباب العالي.
- محاولة البايات الحسينيين تحسين العلاقات مع الحكام الجزائريين بعد أن عرفت تدهور كبيرا في الفترات السابقة وإنهاء الحرب القائمة بين الايالتين.
- مساهمة الحكام في تشجيع الأدب والعلم مما أدى إلى ظهور العديد من العلماء ورجال الدين وبناء المدارس والمساجد والزوايا كان لها الأثر البالغ في ضبط الحياة اليومية للرعية.

الملاحق

الملحق رقم 1:صورة لحمودة باشا [1]

حمودة باشا الحسيني

326

1:حفيظة بوتوقوماس :المرجع السابق، ص82

الملحق رقم 2:صورة لحسن بن علي تركي[1]

1:حفيظة بوتوقوماس :المرجع السابق، ص79

الملحق رقم 3:صورة لعلي باشا [1]

1:حفيظة بوتوقوماس :المرجع السابق، ص80

الملحق رقم 4: جدول يوضح اهم الدايات الذين حكمو الجزائر[1]

الداي	سنة الحكم
بابا علي الشاوش	1710م
محمد الخزناجي	1718م
بابا عبدي	1724م
ابراهيم رمضان	1732م
ابراهيم خوجة	1745م
علي ابو صبع	1748م
بن بكري خوجة	1754م
محمد بن عثمان خوجة	1766م
الداي حسن	1792م

1:عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق،ص ص219،220،225،230

الملحق رقم 5:خريطة توضح الطرق الرابطة بين الشرق الجزائري و الأسواق التونسية [1]

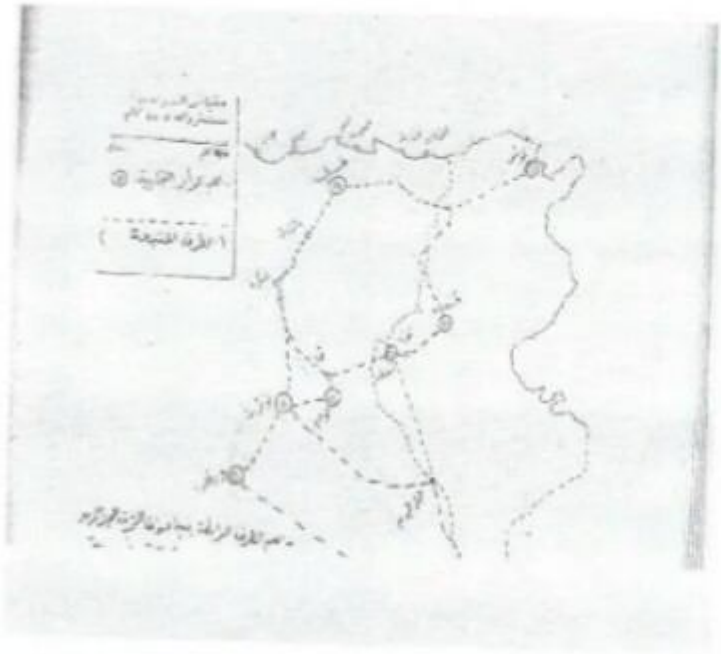

1:العربي الزبيري:المرجع السابق، ص79

الملحق رقم 6:صورة لجامع الزيتونة 1880[1]

1جامع الزيتونة لمحة تاريخية عنه ،من الموقع،COM.WWW.DRIKIA

الملحق رقم 7: صورة توضح لباس الحايك للمرأة الجزائرية في العهد العثماني[1]

1: ناصر الدين براهمي:تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني،دار ثالة ، الجزائر، 2010، ص216

البيبليوغرافيا

البيبليوغرافيا:

المصادر:

1) ابن أبي الضياف: اتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، ج2، ج3،ج4 ، ج7 ، ج8 ، المكتبة التاريخية، تونس، 1963.

2) ابن المفتي: تاريخ باشاوات الجزائر و علمائها ، جمع: فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة ، الجزائر ، 2009م.

3) الاندلسي محمد : الوزير السراج الحلل السندسية في الاخبار التونسية، تق، تح: محمد الحبيب الهيلة، د، ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، مج 2، 1985.

4) أبو عبد الله القيرواني: المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1982.

5) ابن ميمون محمد الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق الدكتور محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، رغاية، الجزائر.

6) ابن حمادوش عبد الرزاق: لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، رحله ابن حمادوش، تق، تح: أبو القاسم سعد الله، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.

7) ابراهيم العوامر: الظروف في تاريخ الصحراء وسوف، تح: الجيلالي بن إبراهيم العوامر، دط، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس، الجزائر، 1977م.

8) احمد الشريف الزهار: مذكرات أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر ويليه محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1797)، تحقيق: احمد توفيق المدني، مج7، علم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين 2010م.

9) احمد النائب الأنصاري: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، طرابلس، الغرب، ليبيا، دط، د ت.

10) أحمد بن القاسم البوني: الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، تق وتح: سعد بوفلاقة، ط1، منشورات بونة للدراسات والبحوث، الجزائر، 2007، ص12.

11) سبينر وليام : الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب عبد القادر زيادية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1980م.

12) الآغا بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود، تح: يحي بوعزيز، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

13) ج ، او.مانيسترايت :رحلة الالماني إلى الجزائر و تونس و طرابلس (1145هـ - 1732) ، ترجمة ناصر الدين سعيدوني ، دار الغرب الإسلامية ، تونس .

14) الخامس محمد البيرم : صفوة الاعتبار بمستودع الأمطار والأقطار، القطر التونسي، ط2، تحقيق علي بن طاهر، المجتمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 1999، مج2.

15) العنتري محمد صالح : تاريخ قسنطينه فريدة منسيه في حال دخول الترك بلد قسنطينه واستلائهم على أوطانها، مراجعة: تحقيق: يحي بوعزيز عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، 2009م.

16) فون مالتان هاينرين : ثلاث سنوات في غربي شمال افريقيا ترجمة ابو العيد دودو، ج3،شركة الامة للطباعة، الجزائر، 2009.

17) السنوسي: محمد بن عثمان السنوسي، مسامرات الطريف بحسن التعريف، ط1، تحقيق وتعليق الشيخ محمد الشادلي النيفر، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1994، ج1.

18) شالر وليام : مذكرات قنصل امريكا في الجزائر 1816-1824 ، تقديم و تعليق اسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982.

19) مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم و للحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية.

20) محمد بن الامير عبد القادر: تحفة الزائر في مكان الامير عبد القادر و اخبار للجزائر، شرح و تعليق ممدوح حقي، منشورات ايالة الابيار ، ج1 ، الجزائر ، 2007 .

21) مسلم عبد القادر: انيس الغريب و المسافر، تح: رابح بونار، الجزائر،1974م.

المراجع:

1) الارقش دلندة و الارقش عبد الحميد و بن طاهر جمال: المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي ميديا كوم، 2003م.

2) الإمام رشاد : سياسة حمودة باشا في تونس (1782-1814)، منشورات الجامعة التونسية، تونس، دط، 1980.

3) باي المخطار: حسن بن علي، في الدولة الحسينية، تر: البشير بن سلامة، ط1، الأصلية للنشر ، تونس، 2009.

4) بحري احمد : الجزائر في عهد الدايات، دراسة الحياة الاجتماعية ابان الحقبة العثمانية، ج2، دار الثقافة، الجزائر، 2013.

5) البشتاوي عادل سعيد: الأمة الاندلسية الشهيدة، تاريخ مئة عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة، دط، د م ن، د س ن.

6) البكري أبو عبد الله: المغرب في ذكر بلاد افريقية ةالمغرب، دط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د س ن.

7) بلحميسي مولاي :الجزائر خلال رحلات المغاربة، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، الجزائر، 1981م.

8) بلهادف بن سالم بن الطيب: سوف تاريخ وثقافة، دط، مطبعة الوليد، الوادي، الجزائر، 2007.

9) بن خروف عمر: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين الجزائر والمغرب من القرن العاشر هجري الى السادس عشر ميلادي، دط، دار الامل للنشر والتوزيع، 2008، ج2.

10) بن بكر الحاج يوسف سعيد: تاريخ بني مزاب- دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، د ط، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.

11) بوعزيز يحي : علاقة الجزائر بمماليك و دول اوربا في ما بين القرن السادس عشر و مطلع القرن التاسع عشر الجزائر، 1983م.

12) تشابجي عبد الرحمان : المسألة التونسية السياسية العثمانية 1881-1913م، ط1، عاق عليه عبد الجليل التميمي، دار الكتاب الشرقية، تونس.

13) جوليان شارل أندري : تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: محمد المرالي والبشير بن سلامة، مؤسسة توالت الثقافية، ج2، 2011.

14) جوهر حسن محمد: تونس، دط، دار المعارف، مصر، 1961.

15) الجيلالي محمد بن عبد الرحمان : تاريخ الجزائر العام، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر، 1995.

16) الحبيب تامر: هذه تونس، مكتب المغرب العربي، تونس، د ط، د ت.

17) الحبلوي أحمد بن عبد السلام عبد الرزاق: المؤرخون التونسيون في القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر، دط، بيت الحكمة، تونس، 1993.

18) حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس، ط3، دار الكتب الشرقية، تونس، محرم، 1983م.

19) الحشايشي محمد بن عثمان: العادات والتقاليد التونسية الهدية أو الفوائد العلمية في العادات التونسية، ط1، دراسة وتحقيق الجيلالي بن الحاج، تقديم محمد اليعلاوي، دار سراس للنشر، تونس 1994.

20) حليمي عبد القادر ، مدينة الجزائر نشاتها و تطورها قبل 1830 ، ط1 ، دار الفكر الإسلامي الجزائر ، 1972.

21) حماش خليفة : الأسرة في مدينة الجزائر في العهد العثماني، ج3،ط1، دار الزواوي للدراسات، الجزائر،2015.

22) حنيفي هلايلي :اوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،ط1،دار الهدى للطباعة،الجزائر،2008.

23) الحنفاوي ابو القاسم : تعريف الخلف لرجال السلف تحقيق ابو الجفان عثمان بطيخ ، ط1، مؤسسة الرسالة والمكتبة العتيقة تونس، ج2، 2007م.

24) حوتية محمد صالح : توات والازداد، دط، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

25) الخطيب محمد عبد الله عود إبراهيم : تاريخ العرب الحديث، دار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، دط، 1989.

26) دحماني توفيق : دراسة (عسكرية) في عهد الأمان القانون الأساسي السياسي العسكري للجزائر في العهد العثماني،ط1، الدار العثمانية ، الجزائر ، 2009.

27) دراج محمد : الدخول العثماني إلى الجزائر و دور الاخوة بربروس (1512-1543) تصدير ناصر الدين سعيدوني ، ط3 ، شركة الاصالة ، الجزائر ، 2015 .

28) ريمون اندريه : المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة لطيف فرج، ط1، دار الفكر للدراسات ، القاهرة، 1991 .

29) الزبيري محمد العربي : التجارة الخارجية للشرق الجزائري ما بين 1792-1830م،ش و ن ت ،الجزائر،1984 .

30) الزبيري محمد العربي : التجارة الخارجية للشرق الجزائري، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د س ن.

31) الساحلي حمادي : فصول في التاريخ والحضارة، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1992.

32) سعد الله ابو قاسم :تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830) ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1998 .

33) سعيدوني ناصر الدين : ورقات جزائرية دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر،ط2، دار البصائر، الجزائر،2009م.

34) سعيدوني ناصر الدين :الحياة الريفية باقليم مدينة الجزائر اواخر العهد العثماني(1794-1830)، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

35) سعيدوني ناصر الدين : من التراث التاريخي الجغرافي الغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1999م.

36) سعيدوني ناصر الدين: النظام المالي للجزائر اواخر العهد العثماني (1792-1830) ويليه قانون اسواق مدينة الجزائر (1695-1705) البصائر للنشر والتوزيع- الجزائر، ج3.

37) سعيدوني ناصر الدين و المهدي بو عبدلي : الجزائر في تاريخ العهد العثماني ، ج4 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1995.

38) السيد محمد : تاريخ إفريقيا القديم والحديث، مؤسسه شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، دط، 2006.

39) الشريف محمد الهادي : تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تعريب محمد الشاوش، محمد عجيبة، دار سراس للنشر، تونس،1980.

40) شويتام ارزقي : نهاية الحكم العثماني في الجزائر و عوامل انهياره(1800-1830)، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011.

41) شويتام أرزقي : المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009.

42) الطويلي احمد: تاريخ مدينه تونس الثقافي والحضاري من الفتح إلى أواخر القرن 19، ط1، الشركة التونسية للنشر وتنميه فنون الرسم، تونس 2002.

43) عامر محمود علي : تاريخ المغرب العربي الحديث ، (المغرب الاقصى، ليبيا) الجمعية التعاونية للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، د.ط، د. ت.

44) عامر محمود علي : تاريخ المغرب العربي الحديث، الجزائر وتونس، منشورات جامعة دمشق، سوريا، د ط، 1994.

45) عامر محمود علي : تاريخ المغرب العربي الحديث (الجزائر -تونس)، منشورات جامعة دمشق، سوريا، د ط، 1994.

46) العامري محمد الهادي : تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذبول، الشركة التونسية للتوزيع ، القصبة، تونس 1974.

47) عباد صالح : الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومة للنشر والطباعة، الجزائر، 2011.

48) عثمان سعدي: الجزائر في التاريخ، ط1، دار الامة، الجزائر 2011م.

49) العجيلي التليلي: الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939)، دط، منشورات الأزهري، تونس، 1992.

50) العقاد صلاح :المغرب العربي الحديث والمعاصر، الجزائر، تونس، المغرب الأقصى،مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة،مصر،ط1993،6م.

51) العكاك عثمان : العلاقات بين تونس وايران عبر التاريخ، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1972.

52) عمورة عمار : موجز في التاريخ الجزائر ، الطبعة الاولى ، دار ريحانة ، الجزائر ، 2002.

53) عميراوي أحميدة : علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس اواخر العهد الثماني وبدايات الاحتلال الفرنسي، دط، دار البعث، الجزائر، د س ن.

54) العنتري محمد صالح : مجاعة قسنطينة، وثق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

55) العيدروس محمد حسن : تاريخ العرب الحديث، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، دط، 2001.

56) غلاب عبد الكريم : قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، عصر الامبراطورية العهد التركي في تونس، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

57) ، قاسم أحمد : ايالة تونس العثمانية على ضوء فتاوى ابن عظوم، 1574-1600م، دط، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس ، د س ن.

58) قدورة زاهيه : تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، ولبنان، دط، د ت.

59) مارمول : إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية، ج1، مكتبة الهادف للنشر والتوزيع، ، ب 239 الرباط.

60) المدني احمد توفيق:هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،1956.

61) المدني أحمد توفيق : حرب ثلاثة مأئة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792، ط1، طبع الشركة الوطنية للنشر الجزائر، 1976.

62) المحامي محمد فريديرك : تاريخ الدولة العليا العثمانية، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، 1981.

63) محمد خير فارس: تاريخ مدينة الجزائر،من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1،جامعة دمشق،1969.

64) مريوش احمد : الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، سلسلة المشاريع الوطنية للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة اول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2009م.

65) محفوظ محمد: تراجم المؤلفين التونسيين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1982.

66) مفتاح عبد الباقي: أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه، دط، الوليد للنشر والطباعة، الوادي، الجزائر، د س ن.

67) مفيد الزيدي: موسوعة التاريخ العربي المعاصر والحديث، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط،2004.

68) المنصوري احمد بن الطاهر: الدر المرصوف في تاريخ سوف، دار الهدى، د م ن، د س ن.

69) نسيب محمد: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دط، دار الفكر، د س ن.

70) نواب عواطف محمد يوسف: الرحلات المغاربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، دط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1417هـ

71) نور الدين عبد القادر:صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من اقدم عصورها إلى انتماء الحكم التركي،دار الحضارة،الجزائر،2006.

72) النيقر محمد: عنوان الأديب عماد نشأ بالمملكة التونسية من عالم وأديب، ط1، المطبعة التونسية، تونس،ج1، 1391 هـ.

73) هنية عبد الحميد : تونس العثمانية، بناء الدولة والمحل، ط1، منشورات تبر الزمان، تونس، 2012.

74) ورنيقة محمد أحمد: الطريقة الشاذلية وأعلامها، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1410هـ/1990م.

75) الوزان حسن بن محمد : وصف افريقيا ، ترجمة محمد حجي و محمد الاخضر ، ج2 ، ط2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان 1983 .

76) وولف جون :الجزائر و اوروبا 1500-1830، ترجمة،ابو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1986.

77) يفاير سيمون : مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تعريب وتقديم ابو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، 1974.

المصادر و المراجع باللغة الفرنسية :

1) bachrouch toufik : formation sociele barbarresque et pouvoir a tunis au XV llesiecle publications de l'universite de tunis، 1977.

2) ban seghir youcef, mechjj elmelki: chronique tunisienne (1705-1771) awrage traduten froncais par victor serest malnanned lasran, 2e ed bauslana, tunis, 1978.

3) ben –abi-el-kairouani mohamed: histoire de l’afrique, traduits de l’arabe et résume par. M.M.E, pélissier, imprimerie royale, paris, MDCCXLV.
4) de paradis venture: tunis et alger au 18eme siecle, mémoires et observations rassemblées et présentées par j cuocq, la bibliothéque arabe simdbad, 1983, dijon.
5) frank louis: histoir de tunis, précédée d’une description de cette régence, didat frères, imprimer rsdel l’instut de France, paris, 1851, p100.
6) haedo : histoire des rols d’alger et annotéc ، par(H.D) grammont ، 1881 ..
7) mercies emest: histoire de comshantine, morle et lbiron, imprineurs-edilrurs, 1903.
8) mercir e.renst: histoir de constantine, j-marle et. F. biron, imprimeurs-editeurs, 1903, p250.
9) Sham: voyage dans la régence d’alger ou description géographique, physique, philologique, etc, de, cet-etat, traduit de l’anglais, j, McCarthy, marlin éditeur, paris, 1830.

المعاجم

1) ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري: لسان العرب، دط، المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر، القاهرة، د س ن.

2) الشهابي غنية: معجم ارباب السلطان في الدولة الإسلامية من العصر الراشدي حتى بدايات القرن العشرين ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ،سوريا 1995.

3) صبان سهيل : المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،مكتبة الملك فهد الوطنية ن الرياض 1421هـ/2000 م.

4) . نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980م.

المجلات و الملتقيات :

1) اليزابيث قلافير نانسي : الاستعماريون والطاعون في تونس 1818-1918م، في المجلة التارخية المغربية، العدد 33-34، رغوان، 1984،

2) أبو بكر عبد الكافي، الشاشية تاريخها وتقاليدها وتطورها، مجلة الفكر، العدد6، 1982.

3) بن خروف عمر : علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات، (1082-1246) 1671-1830، مجلة الدراست التارخية، مجلة دورية معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد العاشر، 1977.

4) بلغيث محمد الأمين: الطريقة الشابية في الجزائر وتونس، محاولة لرسم مسار الحركة، المجلة التاريخية المغربية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، السنة 31، العدد 114، تونس، مارس، 2004،.

5) هلال عمار: « علماء الجزائر في تونس فيما بين القرنين الرابع عشر للهجرة والعشرين للميلاد» مجلة الدراسات التاريخية، عدد11، و12، دط، دار الحكمة، الجزائر 2001.

6) التميمي عبد الجليل: تأثيرات الموريسليس على المجتمعات المغاربية، العصر الحديث، المجلة التاريخية المغاربية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، العدد 120، تونس، جوان، 2005.

7) قاسم احمد: العثمانية على ضوء فتاوي ابن عظوم، في المجلة التاريخية المغربية، العدد 33- 34، مطبعة الاتحاد العام التونسي، تونس، 31 جويلية 1979 .

8) قداش محفوظ : "الجزائر في العهد التركي"، مجلة الاصالة، العدد 52 ، السنة السادسة، 1977 م.

9) القيلالي مصطفى : تجارب ادماج البدو في تونس بالحياة الريفية، حوليات الجامعة التونسية، العدد 3، 1966.

10) شلالقة السعيد : "التواصل بين السلطة الحاكمة و القبائل في فرض السيطرة الكاملة من مختلف جهات البلاد"، مداخلة في الملتقى الوطني حول السلطة و المجتمع في الجزائر العثمانية – العلاقة بين الراعي و الرعية ، تبسة، الجزائر، 20-21ماي 2012م

الرسائل الجامعية:

1) بوتوغماس حفيضة :الحياة الاجتماعية في تونس خلال العهد العثماني 1117هـ/1705-1251/1835م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، 2010-2011.

2) بالعمري فاتح : الحياة الحضرية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحلة ،رسالة لنيل شهادة دكتوراه،جامعة الأمير عبد القادر ، كلية الآداب، قسم التاريخ ،2016-2017.

3) بن بدر كريم: الحرف والحرفيون بمدينة تونس خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، رسالة ماجستير، إشراف عبد الحميد لرقش، جامعة تونس، س ج، 2004/2005.

4) حاج العربي احمد : علاقة بايلك الشرق الجزائري بالايالة التونسية خلال القرن 18، شهادة لنيل مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 2019-2020.

5) الحناشي العربي : حنانشة وعلاقتهم بالسلطة في تونس 1640-1740م، مذكرة لنيل شهادة الكفاءة في البحث والإشراف محمد الهدي شريف، جامعة تونس1، س. ج، 1987م-1958م.

6) حسانّي عثمان: البنية الاجتماعية الاقتصادية في الصحراء من خلال تقارير الأجانب في القرنين 18 و 19م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف يوسف تلمساني، جامعة الجزائر، 2006-2007.

7) خصام صورية :العلاقات بين ايلتي الجزائر وتونس القرن 18، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، عبد المجيد بن نعيمة، جامعة وهران، الجزائر ، 2012-2013.

8) السياح الفيلالي: العلاقات الجزائرية التونسية، 1800-1830م، بحث لنيل ديبلوم الدراسات المعمقة، اشراف بوتوفيق، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1982-1983م .

9) الشيخ مليكه : العلاقة السياسية الاقتصادية بين تونس وفرنسا خلال القرن 18،مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، تخصص تاريخ الحديث ، إشراف عمار بن خروف ،معهد العلرم الانسانية و الاجتماعية ، المركز الجامعي ، 2012.2011 .

10) العايب كوثر : العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الديات (1711-1830) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف محمد السعيد، جامعة الوادي، الجزائر، 2013-2014.

11) صنديد ياسين : الأسرة الحسينية ودورها في العلاقات السياسية الاقتصادية بين تونس وفرنسا (1705م-1782م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير (تخصص تاريخ الحديث والمعاصر، إشراف إبراهيم سيعيدون، معهد العلوم الاجتماعية والانسانية (قسم التاريخ، جامعة غرداية، الجزائر، 2012-2013م.

12) كشرود حسان : رواتب الجند وعامة الموظفين و اوضاعهم الاجتماعية و الاقتصادية بالجزائر (1679-1830)م، مذكرة ماجيستير غير منشورة في التاريخ الحديث،اشراف (د. فاطمة قني)،قسنطينة،2007-2008م.

13) مايدي كمال : علاقات تونس مع الدول غرب أوروبا الغربية المتوسطية وتأثير البحرية في عهد حمودة باشا 1782م-1814م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ الحديث، إشراف عمار بن خروف، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، المركز الجامعي بغرداية، الجزائر، 2011-2012م.

الفهارس

- أ:

- ابن ابي الضياف 8/11/13/34/35/39/42/46/47/51/57/73/78/81/84/85/
- ابن الاحرش.....56/88/
- ابن برناز.....82/
- ابن عاشور القسنطيني.....83/
- ابن عمار.....84/
- ابراهيم الشريف.....10/35/36/
- إبراهيم الغرياني.....83/
- إبراهيم الرياحي.....86/
- أبو القاسم سعد الله.....31/
- أبو إسحاق إبراهيم.....12/
- أبو عبد الله بن الاصرم.....57/
- أبو العباس أحمد بن قاسم بن محمد الساسي التميمي البوني.....80/
- أبو القاسم القسنطيني.....84/
- أبو عثمان سعيد بن الحاج إبراهيم بن عبد الرحمن قدورة.....84/
- أبي يعقوب.....84/
- أبي الدرقاوي.....87/
- أحمد الشبلي.....9/
- احمد المقري.....31/
- أحمد القرمنبلي.....43/
- احمد العروسي....48/
- احمد البرناني.....72/
- احمد بن ساسي.....82/
- احمد بن عبد العظيم.....72/
- احمد الاصرم.....85/
- احمد بن محمد بن سالم المختار التجاني.....86/

- أحمد بن مخلوف.....87/
- إسماعيل بن يونس باي بن علي باشا.....47/
- إسماعيل التميمي.....81/
- الاميهي.....71/
- **ب:**
- بركات بن باديس....82/
- بن رمضان العنابي.....81/
- بو حناك.....36/
- **ح:**
- الحاج مصطفى انجليز.....57/
- حسن بن علي بن تركي....70/53/50/46/39/38/37/36/35/16/13/12/11/
- حسن خوجة.....36/
- حسن بوكمية.....38/37/
- حسن باي....62/
- حسان باي.....70/
- حمودة باشا.....
65/64/63/56/55/54/53/52/51/48/45/44/43/42/41/40/39/16/10/9/
73/ -
- حمودة باي.....88/73/
- حمود عبد العزيز.....83/
- **د:**
- الداي محمد.....17/
- الداي مصطفى.....35/
-

- **ر:**
- روسو.....35/
- رمضان باي.....10/
- رمضان بن مصطفى العنابي.....82/
- **س:**
- سبنسر.....61/
- سنان باشا.....8/
- وسعيد قدورة.....82/31/
- **ش:**
- شعبان باشا.....10/
- الشيخ بوعزيز بن ناصر.....70/38/37/
- الشيخ مراد....69/
- الشيخ منصر.....71/
- **ط:**
- الطيب الوزاني.....86/
- **ع:**
- عبد الكريم الفكون.....31/
- عبد الرزاق حمادوش.....80/
- عثمان داي.....16/14/
- علي باي.....71/9/
- علي تركي.....11/
- علي باشا.....70/69/46/43/39/38/37/36/16/13/12/
- علي باي بن حسين.....47/37/13/
- علي الشاوش....17/

- العلج علي.....25/
- علي برغل.....43/
- علي الكماد....82/
- علي بن خليل....82/
- عميرة بوجديد.....71/
- عمر محمد.....72/
- عيسى بن محمد بن عامر الجعفري.....80/
- عيسى الثعالي.....82/

- غ:

- الغربيني.....84/

- ف:

- فاطمة الزهراء رضي الله عنها.....71/

- ق:

- القاضي مصطفى.....80/

- ل:

- لويس....64/

- م:

- محمد صلى الله عليه وسلم.....76/71/
- محمد باي ابن حمودة باشا.....16/10/9/
- محمد الحفصي.....69/9/
- محمد طاباق.....9/
- محمد بن شكر.....10/9/
- محمد باي بن حسين.....69/47/16/13/
- محمد الخزناجي.....17/
- محمد رشيد.....39/

- محمد الكبير....45/
- محمود باي.....39/
- محمد المبزع....48/
- محمد الجديدي.....71/
- محمد بكداش.....72/
- محمد بن عمار الفرجاتي.....72/
- محمد بن ميمون الجزائري.....81/
- محمد زيتونة التونسي.....81/
- محمد تاج العارفين بن احمد البكري العثماني.....82/
- محمد الفاسي.....82/
- محمد بن حولة.....82/
- محمد البشير.....82/
- محمد الباجي الشافعي.....83/
- محمد ابن احمد الشريف.....83/
- محمد المصعبي.....84/
- محمد عبد الرحمن الجزائري.....85/
- محمد بن سالم الحفناوي.....85/
- محمد بن عبد الله التزاني.....86/
- محمود التونسي.....86/
- محمد المسعود الشابي.....87/
- مراد باي.....35/34/10/
- مراد كوراسو.....8/
- مراد بوبالة.....34/10/
- مصطفى خوجة....43/
- مصطفى لنفيلير.....44/
- مصطفى باي بن محمد....16/ 63/

- مصطفى الطرابلسي.....86/
- **ه:**
- هايدوا.....24/
- **و:**
- الوزير يوسف.....57/42/41/
- الورثيلاني.....81/
- **ي:**
- يونس باي.....39/38/
- يوسف القرمنلي....43/
- يوسف ذنون.....86/

- فهرس الاماكن:

- **أ:**
- أبي سمغون.....86/
- أزمير.....83/38/
- اسبانيا.....66/65/64/62/57/54/51/43/28/18/
- اسطانبول.....9/
- الأطلس التلي.....19/
- الاطلس الصحراوي.....26/19/
- افريقيا.....76/55/
- الاغواط.....86/26/
- امارة بني عباس....27/
- امية....71/
- الأندلس....25/
- انجيلترا.....66/65/22/
- أوغندا.....18/

- ايطاليا....28/45/22
- **ب:**
- باجا.....65/
- باردو.....16/
- بايلك الشرق.....36/
- بجاية.....30/20/
- البليدة.....31/
- بسكرة.....60/
- بريطانيا....63/
- بوبريح....88/
- البندقية.....42/43/44/57/
- بنزرت.....42/
- وبني بوزقن.....72/
- **ت:**
- تبسة....73/
- تونس.....6/9/11/12/13/14/15/22/30/34/36/37/39/41/42/43/44/45/46/ 47/48/50/51/52/53/54/55/56/57/58/59/60/61/62/63/64/65/66/69/71/ 73/74/75/76/77/79/80/81/82/83/84/85/86/87/88/
- تلمسان.....20/22/25/30/
- تقرت.....58/59/60/61/
- تنس.....31/
- توات....26/86/
- التيطري.....20/
- تيميون....61/
- **ج:**
- جبل السيف....49/

- جبل شعانبي....49/
- جبل سلوم....49/
- جبل بوسلابية.....49/
- جبل زغوان..... /50/
- جبال السرج....50/
- جبال برقو...50/
- جبال منصور **.....50/**
- جبل قيبو....50/
- جبال تبرسق....50/
- جبل الأربس...50/
- جبال الرأس الأسود.....65/
- الجزائر.....6/9/10/11/13/14/15/17/18/20/21/22/24/26/27/28/30/31/34/ /35/36/37/44/45/46/49/50/54/55/56/57/58/59/60/61/62/69/72/74/ /75/76/77/79/80/81/82/83/84/86/87/88/
- جربة....43/53/54/61/72/84/
- جنوة.....63/
- جيجل.....27/31/61

- ح:

- حلق الوادي....42/44/
- الحمير....49/50/
- الحامة.....86/

- خ:

- خنشلة....87/

- د:

- دار السلطان.....18/
- دلس....25/31/
-

- **ز:**
- الزيبان.....30/
- **س:**
- الساحل.....50/49/
- سطيف.....44/35/
- السلوقية.....16/
- السودان.....86/83/60/28/
- سوسة.....66/53/49/42/15/9/
- سوق اهراس.....59/
- سور الغزلان.....70/
- سهل متيجة.....20/19/
- سيدي مسطور.....71/
- **ش:**
- شرشال.....31/
- شار.....87/
- **ص:**
- الصحراء.....87/70/60/49/22/
- صفاقس.....42/15/9/
- **ط:**
- طبرقة.....51/
- طرابلس.....81/60/43/34/10/
- **ع:**
- عنابة.....82/61/31/
-
- **غ:**

- غرناطة.....25/
- غرداية.....72/26/
- غدامس.....60/26/

- **ف:**
- فاس.....88/86/83/81/30/
- فرنسا.....65/64/63/57/51/28/22/18/

- **ق:**
- قابس....71/
- القبائل....82/80/18/
- قسنطينة.....62/60/59/58/57/45/44/38/37/36/35/34/30/25/22/21/10/
83/82/81/70/
- القصبة.....10/
- القليعة.....31/
- قلعة ابن راشد.....21/
- قفصة.....59/49/
- القرارة.....72/
- القيروان.....85/71/51/50/49/15/13/9/

- **ك:**
- الكاف.....86/59/51/50/49/45/42/10/
- كندية.....11/
- كاسليمان العالية.....16/

- **ل:**
- ليفورنا.....66/

- **م:**
- مالي....63/22/
- مارسيليا....66/64/

- مازونة.....30/
- مالطة.....43/
- مجانة.....70/30/
- مراكش.....87/
- مستغانم.....31/25/
- مصر.....85/83/80/43/30/
- المغرب الأقصى.....86/83/61/60/55/43/37/34/
- المغرب العربي.....86/73/
- مملكة كوكو.....27

- ن:

- النرويج.....18/
- النيجر....22/
- نفطة....71/60/59/
- نفوسة....71/

- ه:

- الهضاب العليا.....19/
- هولندا.....66/48/
- الهند.....85/

- و:

- واد صراط....45/
- واد ملاق....50/49/
- واد مليانة...50/
- واد الزناتي....59/
- وادي النيل....60/
- واد سوف.....71/60/
- وادي ريغ.....61/

- الوادي....61/59/58/
- ورقلة.....61/60/59/58/
- الولايات المتحدة الامريكية.....65/63/23/
- وهران.....45/22/20/18/

- فهرس القبائل و الأسر :

- أ:

- أولاد شنوف.....9/...
- أولاد العيد.....9/
- اولاد سعيد.....11/
- أولاد يحي.....50/
- أولاد بوسالم.....50/
- أولاد مقران...70/
- أولاد جديدي.....71/
- أولاد يوسف.....71/
- أولاد حدادة.....71/
- أولاد عبيدي.....71/
- أسرة المقراني.....30/
- الاميهات.....71/
- آيت إسماعيل.....85/

- ب:

- بن قانة.....30/
- بني عباس.....36/

- ح:

- الحسينية.....70/16/11/

- الحنانشة.....34/45/69/70/71/
- **د:**
- الدوايدية....70/
- **ز:**
- الزناتة....26/
- زواوة....27/42/
- **س:**
- السوفية....71/
- **ش:**
- شتاتة....50/
- **ع:**
- العوامرة.....71/
- **ق:**
- القبائل الصحراوية.....26/70/
- القرمنلية.....43/
- قدورة.....84/
- **م:**
- المخزن.....29/42/
- المجانة....70/
- المرادية.....9/
- **ن:**
- نغرة...50/
- النمامشة.....36/

فهرس الموضوعات

مقدمة	
الفصل الأول: الأوضاع العامة في الجزائر وتونس من 1705-1835م.....	**36-10**
المبحث الأول: الأوضاع العامة في تونس 1705-1835م.....	**20-10**
المطلب الاول: الوضع السياسي.....	**10**
1-عهد الباشاوات 1574م-1591م.....	**10**
2- عهد الدّيات: 1591-1631م.....	**10**
3-عهد البايات المراديين.....	**11**
1-2- إبراهيم الشريف 1702-1705م.....	**13**
1-3-قيام الأسرة الحسينية 1705م.....	**14**
1-4-النزاع بين حسن علي تركي وعلي باشا.....	**16**
المطلب الثاني: الوضع الاقتصادي.....	**17**
المطلب الثالث: الوضع الاجتماعي والثقافي.....	**18**
1-الوضع الاجتماعي.....	**18**
2-الوضع الثقافي.....	**18**
3-اهم البايات النافذة في البيت الحسيني.....	**20**
المبحث الثاني: الأوضاع العامة في الجزائر بين (1705م – 1835).....	**36-21**

المطلب الأول: الوضع السياسي.....	**21**
المطلب الثاني: الوضع الاقتصادي.....	**22**
1-القطاع الزراعي والثروة الحيوانية.....	23
2-القطاع الصناعي.....	25
3-**القطاع التجاري.....**	**24**
4-الموارد المالية.....	**27**
المطلب الثالث: الوضع الاجتماعي.....	**27**
1-سكان المدن.....	**28**
2-سكان الارياف.....	**31**
المطلب الرابع: الوضع الثقافي.....	**34**
الفصل الثاني: العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس 1705-1835.....	**38-71**
المبحث الأول: العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس 1705-1835.....	**38-49**
المطلب الأول: مظاهر العلاقات السياسية خلال الفترة 1700-1756م.....	**38**
1-حرب أوت بين الداي مصطفى وحسن بن علي.....	**39**
2-: الحرب الأهلية في تونس 1735 - 1756 م.....	**40**
المطلب الثاني: حمودة باشا وعلاقاته السياسية 1782-1814م.....	**43**
1-سياسته المنتهجة.....	**44**
2-حروبه	**46**

3-السلم بين الجزائر وتونس 1787-1800.....	49
المبحث الثاني:العلاقات الاقتصادية بين الجزائر وتونس1705-1835م.....	50-71
المطلب الاول:الزراعة.....	53
المطلب الثاني:الصناعة.....	57
المطلب الثالث :التجارة.....	60
1-سياسة حمودة باشا التجارية.....	64
2-طبيعة الصادرات والواردات في تونس.....	66
الفصل الثالث:العلاقات الاجتماعية والثقافية بين الايالتين1705-1835م.....	73-92
المبحث الاول:العلاقات الاجتماعية بين ايالة الجزائر وتونس.....	73-82
المطلب الاول:تأثير القبائل وعلاقتهم بالايالتين.....	73
المطلب الثاني:مظاهر الترابط الاجتماعي بين الايالتين.....	74
1-المصاهرة.....	74
2-الهجرة.....	75
المطلب الثالث:نتائج هذا الترابط ومواطن التشابه بين الايالتين.....	78
1-المأكل وأصناف الطعام.....	78
2-الملبس.....	78
3-التشابه في تقاليد اعراف الزواج.....	79

4-العادات والتقاليد المشتركة في الاحتفالات الدينية.....	80
المبحث الثاني:العلاقات الثقافية بين تونس والجزائر.....,,	82
المطلب الاول:الرحلات العلمية.....	83
1-رحلة العلماء الجزائريين إلى تونس.....	83
2-رحلة علماء تونس إلى الجزائر	85
المطلب الثاني:الهجرة العلمية.....	87
1-هجرة علماء الجزائر نحو تونس.....	87
2-هجرة علماء تونس نحو الجزائر.....	88
المطلب الثالث:نتائج العلاقات الثقافية (الطرق الصوفية).....	89
1-الطرق الصوفية التي انتقلت من الجزائر إلى تونس.....	89
2-الطرق الصوفية التي انتقلت من تونس إلى الجزائر.....	90
خاتمة.....	93
الملاحق.....	96
البيبليوغرافيا.....	105
الفهارس.....	120